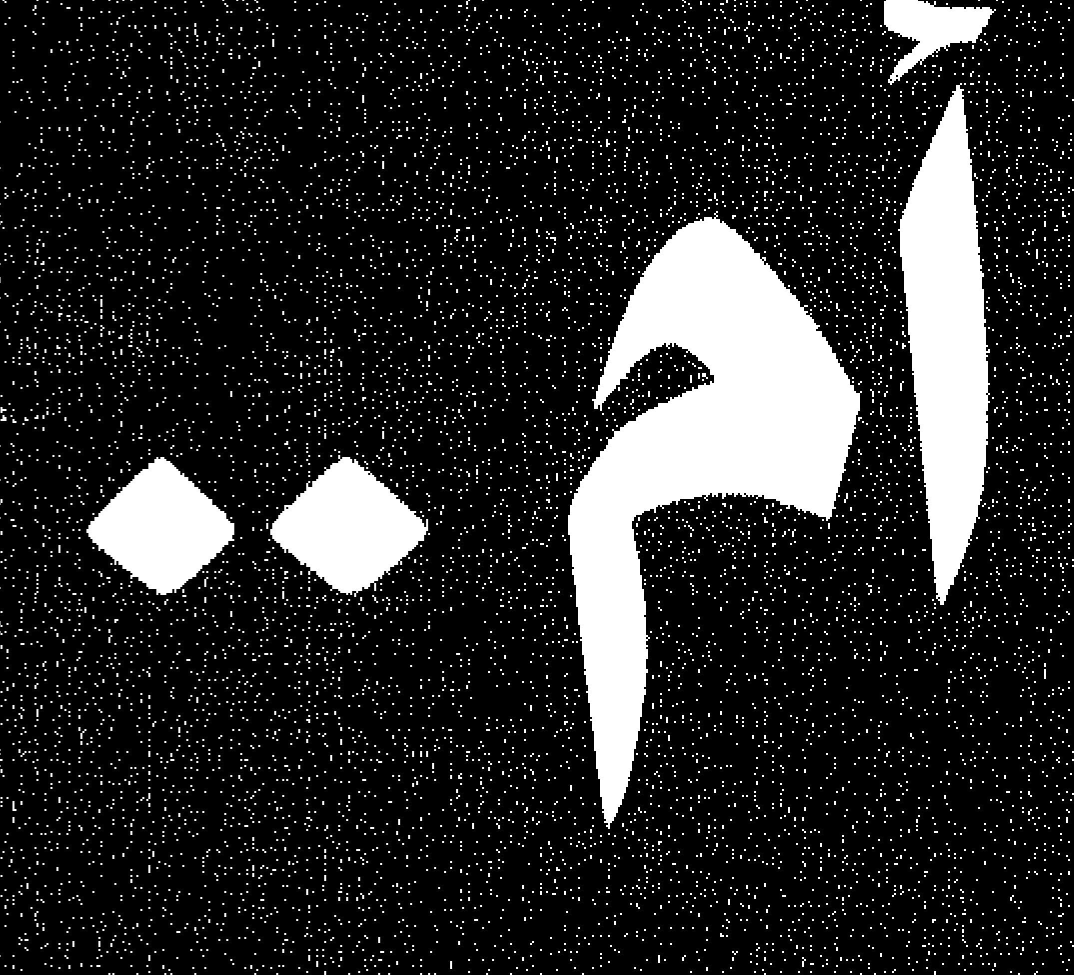
حسن قطامش



عولمة أم .. أمركة؟

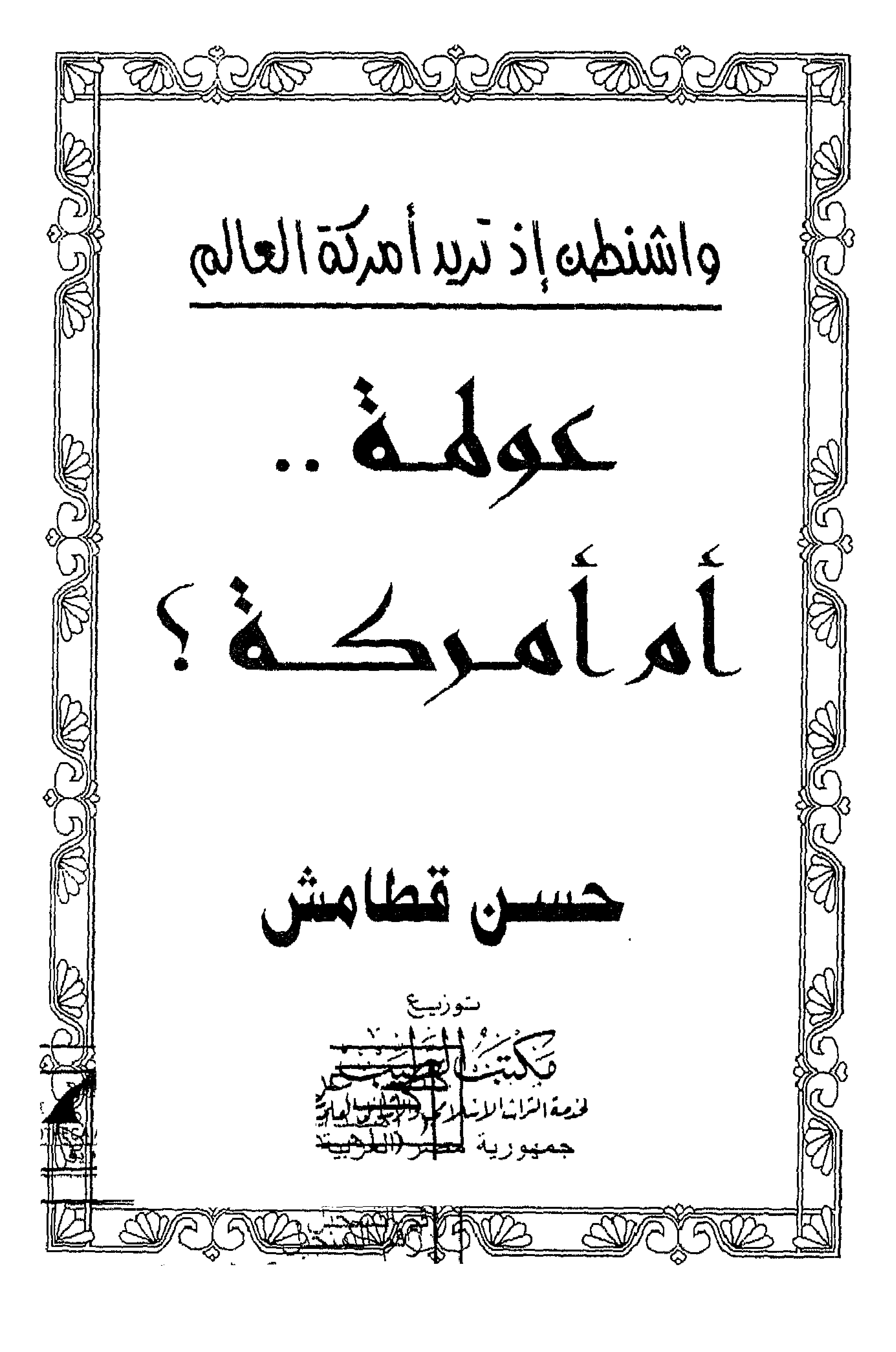




توزيع مكتب الطيب

اهداءات ٢٠٠٢

محاسب حاتم محمد عبد المعبود



واشنطن إذ تريد أمركة العالم

عولمة..
أم أمركة؟

حسن قطامش

توزيع

مكتبة [illegible]

لخدمة التراث الإسلامي [illegible]

جمهورية مصر العربية

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

رقم الإيداع : 99/3675

I.S.B.N.: 977-5950-01-5

توزيع

مكتبة الطيب

جمهورية مصر العربية

القاهرة - المطرية

٧ش سعد حنين من ترعة الجبل

هاتف : ٢٥٠٣٨٠٥ فاكس : ١٥٣٤٣٩٧

مقدمة

كتب شاعر عربي شيوعي قصيدة من أربع كلمات يعبر فيها عن شعوره تجاه الحالة الأمريكية الحالية فقال: الخلق نوعان: إنس وأمريكان.

وسياسي عربي، جمع شعبه وخطب فيهم بصراحته المعهودة قائلاً: في اليوم الذي كنا نختلف فيه مع الاتحاد السوفييتي كنا نذهب إلى أمريكا، ويوم أن كنا نختلف مع أمريكا .. نذهب للاتحاد السوفييتي، واليوم لم يعد إلا أمريكا، فأين نذهب؟!

وسياسي آخر من أرض الجزائر ضاقت به السبل لحل الأزمة الراهنة واستعصت عليه المسائل فطالب أمريكا بالتدخل لحل الأزمة.

وكاتب عربي مسلم رأس تحرير إحدى المجلات الإسلامية لفترة من الزمن، طالب بعدم السعي لإسقاط أمريكا، وطالب بالحفاظ عليها دولة وحيدة مهيمنة!! لأن في سقوطها ضررًا

كبيرًا؛ إذ إن مصالح العالم كله مرتبطة بها وفي سقوطها خسارة للعالم!!

لكن الكاتب لم ينس أن يطالب أمريكا أن تكون محترمة لا مستعلية!

هذه نماذج من شرائح عدة في مجتمعاتنا تكشف عن استقرار كبير في شعور هذه الفئات بسيطرة النموذج الأمريكي على العالم، وهذا الاستقرار فرض على المشاعر والسلوك الصبغة الأمريكية حتى في أخص الخصوصيات التي استوردت من ثقافة (اللاثقافة)، وحضارة (اللاحضارة)؛ فأصبح من الطبيعي أن تجد وأنت ساجد لله، في أحد المساجد العلم الأمريكي على جورب يلبسه أحدهم، وإن اعتدلت قائمًا طالعك الـ (تي شيرت) وقد حفر على واجهته وخلفيته حروف U.S.A بل يكفي الاقتناع التام بجودة المنتج إذا كان أمريكيًا، مهما كانت جودة منتج آخر من دولة أخرى.

استقر في نفوس أولئك أن أمريكا نموذج للحرية والعدل والمساواة، ولهذا صارت أمنية الأماني وحلم الأحلام لدى بعضهم: الحصول على (الجرين كارت) فضلاً عن السعي

الحثيث ودفع الأموال الطائلة للحصول على الجنسية الأمريكية والمفاخرة بحمل جواز سفر . . أمريكي .

سؤال مهم ـ وهو سبب لما نسطره الآن ـ : ما الذي قدمته أمريكا للعالم ؟

والإجابة ستكون من غير تشنج ولا تحيز ـ ومن خلال ما سنراه ـ : لقد قدمت أمريكا للعالم نموذجًا واحدًا ، هوالنموذج المصلحي ، فلا ثقافة أصيلة ، ولا حضارة إنسانية حقيقية يمكن أن يسجلها لها التاريخ ، فنموذج (الأمركة) ليس له وسيلة لفرضه على العالم إلا ما يرادفه في اللفظ ! ! فالأمركة ترادفها (العلمنة) ويرادفها (المكدلة) نسبة إلى (ماكدونالدز) ، وتراد منها كذلك (الكوكلة) نسبة إلى (كوكاكولا) !

لم تقدم أمريكا إلا أفلام الجنس ، أفلام العنف ، الجينز ، وهو ما يمكن تسميته بـ (الثقافة السائلة) الثقافة الاستهلاكية ، ثقافة (تعالَ إلى حيث النكهة) .

ولذلك تَعْجَبُ من بعض قومنا أن تكون مشاعرهم تجاه هذه الصرعات غير الحضارية بتلك الحرارة ، ونعجب أكثر من بعض المثقفين الذين يحملون على عاتقهم هَمَّ تسويق النموذج

الأمريكي نموذجًا مثاليًا جديرًا بالتطبيق في جميع مجالاته !

وعندها لا نعجب أبدًا من أبناء هذه القبيلة الأمريكية حين يتيهون على الدنيا، ويطلقون التصاريح الإمبراطورية يفاخرون فيها بأنهم أسياد الدنيا وحكامها؛ ونخشى أن تزيد هذه التصريحات بعض قومنا عمًى على عمى.

شهادات مغرورة :

١ ـ «ألبرت بيفريدج» ممثل ولاية (إنديانا) في مجلس الشيوخ الأمريكي يلقي خطابًا في مجلس ولايته، يقول فيه ـ وكأنه مجلس حكام الدنيا ـ:

«إن الله لم يهيِّئ الشعوب الناطقة بالإنجليزية لكي تتأمل نفسها بكسل ودون طائل، لقد جعل الله منا أساتذة العالم!! كي نتمكن من نشر النظام حيث تكون الفوضى، وجعلنا جديرين بالحكم لكي نتمكن من إدارة الشعوب البربرية الهرمة، وبدون هذه القوة، ستعم العالم مرة أخرى البربرية والظلام، **وقد اختار اللهُ الشعبَ الأمريكي دون سائر الأجناس كشعب مختار!!** يقود العالم أخيرًا إلى تجديد ذاته».

أما الرئيس الأسبق «دوايت أيزنهاور» فقد خاطب أمته عام ١٩٥٣م قائلاً: «لمواجهة تحديات عصرنا حَمَّل القدر بلدنا مسؤولية قيادة العالم الحر».

ومن تجليات تلك العنجهية وغرورها ما تفوَّه به «وارن كريستوفر» وزير الخارجية السابق في دراسته التي نشرتها مجلة (فورين بوليسي) «السياسة الخارجية» في نهاية عام ١٩٩٥م بعنوان: قيادة أمريكا ـ فرصة أمريكا على أعتاب القرن الحادي والعشرين، يقول: «الحقيقة البسيطة ـ هكذا ـ هي أن أحدًا، أي أحد آخر لن يقود إذا لم نقم نحن بتولي مسؤولية القيادة، تصوروا شكل العالم خلال العامين الأخيرين فقط لو كانت القيادة الأمريكية غائبة!!

إنه ومنذ الثورة الأمريكية يتطلع الناس في كل مكان نحو الولايات المتحدة التماسًا للإلهام في نضالهم من أجل الحرية وحياة أفضل، وثمة أمم أخرى طالما قبلت بقيادة أمريكا، لا لشيء إلا لأن أمتنا تمتلك إرادة مجربة، واستعدادًا سبق اختباره للدفاع عن شيء ما أكبر منها».

أما الملياردير الأمريكي ومرشح الرئاسة المستقل، الخاسر

ثلاث جولات «روس بير» فيقول في كتابه: (ليست للبيع بأي ثمن) «إن الأمريكيين محظوظون من بين شعوب العالم؛ لأنهم يعيشون في أعظم دولة عرفها تاريخ الإنسان!! وإن مئات الملايين من الناس يتمنون الوصول إلى ما وصل إليه المواطن الأمريكي اليوم».

شهادة من تاجر لا يعرف من الحضارة إلا المادة، فالدولار إله معبود.

وأخيرًا إلى من يزعم أنه كُتب على أمريكا تحمل مسؤولية العالم!! فهذا «روزفلت» في أعقاب الحرب العالمية الثانية يصرح: «إنَّ قدرنا.. هو أمركة العالم، تكلموا بهدوء، واحملوا عصًا غليظة.. وعندئذ يمكن أن تتوغلوا بعيدًا».

ولعل الأغنية التي يرددها الأمريكان خير تعبير عن بلوغ النشوة والعنجهية ذروتها بامتلاك العالم: «القمر أصبح أرضًا أمريكية، بلاد السوفييت أصبحت أرضًا أمريكية، المريخ سيصبح أرضًا أمريكية... وعلى الأرض السلام والخراب».

بعد هذه المقدمة، نقوم بجولة نستعرض فيها التاريخ الأمريكي منذ بدايته حتى نتمكن من التوصل إلى رؤية شاملة

للولايات المتحدة (سيدة العالم) وحتى تكون أحكامنا عن تصور واضح ومنطقي لا عن تشنج غير مسوَّغ.

كذلك أود أن ألفت الانتباه إلى أن من الأهمية بمكان الوقوف على تصريحات الساسة وصناع القرار الأمريكيين؛ إذ إن هذه التصريحات هي من أقوى الأدلة وأوضح البراهين على إثبات المراد بيانه من سياستهم، فهي ليست حشواً للأسطر أو تسويداً للصفحات بلا داعٍ؛ بل هي مخطط مدروس، فهل نعي ذلك؟

حسن قطامش

* * *

رحلة في الذاكرة الأمريكية

وقت أن كانت فرنسا قوة مسيطرة، رفعت شعار: «دور فرنسا في تحضير العالم»، وحين جاء دور (بريطانيا) رفعت شعار: «عبء الرجل الأبيض»، ويوم حكمت أمريكا رفعت شعار: «حق الشعوب في تقرير المصير» وجميعها شعارات استهلاكية.

والتاريخ الأمريكي يبدأ منذ أن رسم البحارة الإيطالي «كولمبوس» خطته بالإبحار غربًا، ونفذ هذه الخطة بمساعدة ملك أسبانيا وملكتها في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، ثم أعقبه الإيطالي «أميريكو نسبوتشي» ـ الذي سميت أمريكا باسمه ـ واستقر الأسبان والبرتغال في أواسط أمريكا (المكسيك والبرازيل) وتوالت الرحلات، فاكتشف الإنجليز والفرنسيون شرق أمريكا الشمالية فاستقروا فيما صار بعد ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، وقام صراع بين انجلترا وفرنسا حول الأرض الجديدة، وقامت حرب السنوات السبع في النصف الثاني من

القرن الثامن عشر، وكان الإنجليز قد تمكنوا من بناء أول (مستوطنة) في أمريكا الشمالية، وهي التي جذبت العديد من (المستعمرين) إلى أمريكا، حيث بدؤوا تكوين مجتمعهم الجديد، ثم زادت المستوطنات، وعاش (المستوطنون) تحت الحكم البريطاني، ولكن تجاهلهم لتطبيق القانون البريطاني أدى إلى الخلاف مع بريطانيا.

وبعد الاستفراد البريطاني في الأرض الجديدة، صدرت بعض الإجراءات أدت إلى بدء حركة الاستقلال، كزيادة الضرائب على المطبوعات والوثائق، وقد أثارت هذه التغييرات ردود فعل غاضبة لدى المسْتَعمِرين الذين عارضوها بشدة، ونجحت الاحتجاجات في إلغاء هذه الإجراءات.

لم يدم الود بين الحكومة البريطانية والمستوطنين الجدد طويلاً، فقد صدرت قوانين جديدة مثيرة للسخط، وأرسلت بريطانيا قواتها إلى كل من (بوسطن) و(نيويورك) حيث قتلوا بعض المستوطنين الجدد وهو ما عرف وقتها بـ (مذبحة بوسطن)، ورد المستوطنون على ذلك بأن ألقوا الشاي البريطاني في الميناء، فعاقبتهم (بريطانيا) بما سمي بالقوانين غير المحتملة التي تمثلت في

إغلاق الميناء وإجبار المستعمرين على إيواء البريطانيين وإطعامهم، فكوّنت اثنتا عشرة مستوطنة ما سمي بالمجلس القاري الأول بـ «فلاديفيا» الذي أجبر بريطانيا على سحب القوانين غير المحتملة، وغضب الملك «جورج» على المستعمرات، فاعتدت جيوشه على مؤن تخص المستعمرات، فكان ذلك سببًا ـ من الأسباب ـ في ابتداء الثورة الأمريكية على الحكم البريطاني، واستمرت المعارك، وفي يوليو ١٧٧٦م أعلن المجلس القاري الرابع الاستقلال عن بريطانيا، مكونًا الولايات المتحدة الأمريكية، واستمرت الحرب الطاحنة بين (أمريكا) وبريطانيا حتى انتصر الأمريكان عام ١٧٨١م، ثم وقعت معاهدة باريس بين الطرفين عام ١٧٨٣م إعلانًا لنهاية الثورة الأمريكية، وكانت قد تكونت الحكومة الدستورية، وكتب دستور البلاد عام ١٧٨٧م.

ومما يجدر بالذكر أن معظم الذين هاجروا إلى الأرض الجديدة (أمريكا) من الأوروبيين كانوا من مجرمي الحروب والسجناء الذين ضاقت بهم السجون، ومن تجار الرقيق، والباحثين عن الذهب؛ فالنزعة الإجرامية والقتالية، وحب

السيطرة، وعبادة المال، وتقديم المصلحة الشخصية: سمات غالبة على المستعمِرين والمستوطنين الجدد، والجميع هنا بلا جذور، وأولئك هم الذين قامت عليهم الولايات المتحدة، وهم الذين وضعوا دستورها وسياستها . . .

* * *

ما يحق للأمريكان لا يحق لغيرهم!!

يلخص الأمريكيون منجزاتهم الكبيرة وأمجادهم في ثلاثة أمور: الاستقلال، الاتحاد، الدستور؛ وأهمها على الإطلاق: الاستقلال عن التاج البريطاني. وأصبحت وثيقة الاستقلال وثيقة تاريخية يجب أن يعرفها الكبير والصغير على حد سواء؛ ولخاصية هذه الوثيقة نعرض نصوصًا منها لأهميتها ومناسبتها في موضوعنا.

عندما يصبح ضروريًا - في سياق الأحداث البشرية - أن يفصم شعب الروابط السياسية التي كانت تربطه بشعب آخر، وأن يحتل بين دول الأرض المكانة المنفصلة والمتساوية التي تؤهلها له قوانين الطبيعة، ورب الطبيعة، فإن الاحترام اللائق لرأي الجنس البشري يطالبه أن يعلن الأسباب التي أجبرته على الانفصال.

ونحن نؤمن بأن هذه الحقائق بدهية «وأن جميع البشر خُلقوا متساويين، وأن خالقهم حباهم بحقوق معينة غير قابلة للإسقاط أو التنازل عنها، من بينها: حق الحياة، والحرية، وطلب السعادة».

وتاريخ مُلك بريطانيا العظمى تاريخ إضرار متكرر، واغتصاب مستمر، هدفه الثابت المباشر هو الطغيان المطلق على هذه الولايات. . فلقد أنشأ عددًا كبيرًا من المناصب الجديدة، وبعث هنا أسرابًا حاشدة من الموظفين والضباط لإرهاق شعبنا، واستنزاف أقواتنا وأبقى بين ظهرانينا ـ في وقت السلم ـ جيوشًا دائمة بدون موافقة الهيئات التشريعية، وجعل العسكريين مستقلين، وفي مكانة أرفع من السلطات المدنية، وعمل مع آخرين لجعلنا خاضعين لولاية قانونية غريبة على دستورنا!! ولا تعترف بها قوانيننا بأن وافق على قراراتها التشريعية المزعومة.

ولأنه أقام ـ أي الحاكم البريطاني ـ قوات مسلحة كبيرة بين ظهرانينا، وحماهم بمحاكمات هزلية في العقاب على جرائم القتل التي يمكن أن يقترفوها ضد أهالي هذه الولايات، ولأنه قطع صلاتنا التجارية مع كل أنحاء العالم، ولأنه حرمنا ـ في حالات كثيرة ـ من مزايا المحاكمة أمام محلفين، ولأنه نقلنا وراء البحار لنحاكم على جرائم مزعومة، ولأنه نزع منا مواثيقنا، وألغى أثمن قوانيننا، ولأنه فعل كل هذا، فقد أعلن أننا محرومون من حمايته، وشن الحرب علينا، لقد نهب بحارنا

وسلب سواحلنا ، وأحرق مدننا ، ودمر حياة شعبنا ، وهو في الوقت ذاته ينقل جيوشًا ضخمة من الأجانب المرتزقة ليُتم أعمال الموت والتخريب والطغيان التي بدأها فعلاً بوسائل القسوة والخيانة التي لا يوجد لها مثيل في أشد عهود الهمجية .

لقد أجبر الحاكم البريطاني مواطنينا الذين أسرهم في أعالي البحار أن يحملوا السلاح ضد وطنهم ، ويصبحوا جلادين لأصدقائهم وإخوتهم ، وأن يقتلوا أنفسهم بأيديهم . . وقد أثار الشقاقات الداخلية في ما بيننا ، وحاول أن يستقدم سكان حدودنا الذين لا يعرفون الرحمة والذين لا قانون لهم إلا الحرب ، والقضاء على جميع الأعمار والأجناس والأحوال .

وفي جميع هذه المظالم ، قدمنا الالتماسات للإنصاف بكل تواضع وخضوع ، ولكن كان الجواب الوحيد على التماساتنا المتكررة هو الإساءة المتكررة ، ولم نكن في أي وقت من الأوقات مقصرين في حق إخواننا البريطانيين ، فقد أنذرناهم بين وقت وآخر بمحاولات مجلسهم التشريعي أن يمد سلطة ولايته علينا ، وذكرناهم بظروف هجرتنا واستقرارنا هنا ، وناشدنا عدالتهم

ونخوتهم الفطرية، أن يستنكروا هذه الاعتداءات التي لا بد أن تفصم روابطنا وصلاتنا؛ ولكنهم أيضًا صموا آذانهم عن صوت العدالة، ورابطة الدم.

من أجل ذلك لا بد لنا أن نذعن لحكم الضرورة التي تملي علينا الانفصال، ونجعلهم - كما نجعل بقية العالم - أعداء في الحرب، أصدقاء في السلم.

لذا فإننا نحن ممثلي الولايات المتحدة في مؤتمرنا العام، المجتمع هنا نُشهد (الله جل ثناؤه) على صواب مقصدنا، ونعلن باسم شعب هذه المستعمرات (الطيب)!! وبسلطاته، أن هذه المستعمرات المتحدة، هي في حقيقتها وبموجب حقها ينبغي أن تكون ولايات حرة مستقلة، وأنها تحررت من كل ولاء للتاج البريطاني، وأن كل الروابط السياسية بينها وبين دولة بريطانيا العظمى قد انفصمت تمامًا، وأنها من حيث هي ولايات حرة مستقلة لها كل السلطات الكاملة في شن الحرب، وإقرار السلم وعقد المحالفات، وإنشاء العلاقات التجارية، وإتيان كل الأعمال والأمور التي يحق للدول المستقلة أن تمارسها.

وتدعيمًا لهذا الإعلان، معتمدين بثبات وعزيمة على حماية

العناية الإلهية نتعاهد تعاهداً متبادلاً على صيانة أرواحنا، وشرفنا المقدس» ا. هـ.

بقراءة سريعة لهذه الوثيقة، ودون علم بأنها وثيقة استقلال الأمريكيين عن التاج البريطاني نظن لأول وهلة أنها ـ على سبيل المثال ـ من الشعب العراقي، أو الليبي، أو على أسوأ تقدير الشعب الكوبي، لكن أن تكون ذات صلة بالأمريكيين فهذا أمر مستبعد إلى أقصى درجة، قد يقول قائل: تغير الأحوال والصراعات العالمية، جعلها تعدل من مبادئها، والسياسة لا مبدأ لها، قد نسلم بهذا الافتراض إن كان هناك زمن كبير بين هذه الوثيقة، وبين التبدلات الجذرية التطبيقية لها، ولكن أن تكون هذه الوثيقة كتبت في وقت مُورِسَ خلاله أبشع صنوف التصفية وأشدها همجية ضد صاحب الأرض الحقيقي، فهذا يجعلنا نلقي بالوثيقة برمتها في التزييف والتضليل السياسي.

ونستعرض الآن للتدليل على ذلك نموذجين وقعا خلال كتابة الوثيقة، بل وقبلها وبعدها، ثم نرى: هل هناك ما يدعو لأن تفاخر أمريكا بهذه الوثيقة؟ أم أن ما جاء فيها هو خاص

بشعب الله المختار فقط؟

ولعل ذكر هذه النماذج عقب الوثيقة التي يفاخر بها الأمريكيون يسقطها برمتها إلى حضيض التزييف التاريخي للحقائق التي ما يزال الكثير منها ماثلاً ولم يُمْحَ من الذاكرة.

* * *

النموذج الأول : الهندي .. الأحمر .

الشعب الأصلي الذي عاش في أمريكا قبل الاستعمار الأوروبي لها ليسوا هنودًا، وليسوا حمرًا، ولكن هكذا راق للمحتلين أن يسموهم، وهم الذين عُبر عنهم في الوثيقة بـ (سكان حدودنا الذين لا يعرفون الرحمة، والذين لا قانون لهم إلا الحرب والقضاء على جميع الأعمار والأجناس والأحوال).

ونتساءل أولاً: مَنْ صاحبُ الأرض الحقيقي؟ ونتلوه بسؤال آخر: ألم يكونوا «بشرًا متساوين، وأن خالقهم حباهم بحقوق معينة غير قابلة للإسقاط أو التنازل عنها والتي من بينها: حق الحياة والحرية وطلب السعادة؟» أم أن هذا خاص بالشعوب الناطقة بالإنجليزية المستحقة لحماية الله؟! لقد استعمل الأمريكان لتطهير الأرض التي احتلوها من شعبها أبشع الوسائل والطرق التي لا تقارن بها «أشد العهود الهمجية» وعندما وطئت أقدام المستوطنين الأرض الجديدة كان بها نحو مليون هندي، وكانت العلاقات في بادئ الأمر ودية، ولكن المهاجرين أخذوا يستولون على الأراضي بشكل متزايد، فبدأ ينشب القتال بين الجانبين، كان هذا قبل الاستقلال عن التاج

البريطاني، وقد يعزوه الأمريكيون إلى بريطانيا العظمى!!

وبعد الاستقلال عقدت (الحكومة الأمريكية) عدة معاهدات مع الهنود، وتعهد الهنود بالحفاظ على السلم مع المهاجرين، غير أن كثيرًا من هذه المعاهدات كانت تخرق؛ وذلك بسبب دخول المهاجرين إلى أراضي حددت للهنود، ونتج عن ذلك حروب في منتهى الشراسة ومنها معركة (بيكووت) التي شنت لمقتل أحد المستوطنين، وأحرق فيها ٧٠٠ هندي، وقبض على معظم من تبقى من الهنود وعرضوهم للبيع بسوق النخاسة في (برمودا)، والجدير بالذكر أن الأمريكيين في هذه الموقعة اتفقوا مع بعض القبائل الهندية ليتعاونوا معهم على قتل إخوانهم الهنود، وقد زعم الأمريكيون في وثيقتهم أن الحاكم البريطاني أجبر إخوانهم الأسرى على حمل السلاح ضد وطنهم، وأصبحوا جلادين لأصدقائهم وإخوتهم!! وكان هذا الذي حدث للهنود عقب كتابة الوثيقة.

وأصدرت الحكومة الجديدة بعد ذلك قانونًا بإزاحة الهنود من أماكنهم إلى غربي الولايات المتحدة؛ وذلك لإعطاء أراضيهم

للمهاجرين، وكان ذلك عام ١٨٣٠م ، وهُجِّر إلى المناطق الجديدة أكثر من ٧٠,٠٠٠ ألف هندي، فمات كثير منهم في الطريق الشاق الطويل، وعرفت هذه الرحلة تاريخيًا بـ (رحلة الدموع).

لم يكتف الأمريكان بذلك ، فلم يمض وقت طويل حتى أخذ المهاجرون في الاندفاع نحو الغرب متوغلين في الأراضي التي خصصت للهنود، وكان مما زاد الطين بلة أن اكتشف الذهب في هذه المناطق، فرحل كثير من عبّاد المال إلى هناك، وكانوا يقتلون الحيوانات البرية التي كان الهنود يعتمدون عليها في طعامهم، وقاتل الهنود دفاعًا عما تبقى من الأرض، ولكنهم هزموا في نهاية الأمر؛ ولكن للإنصاف والعدل فقد كانت الحكومة الأمريكية عادلة ومنصفة!! إذ نقلتهم من هذه الأرض إلى أماكن مخصصة (مستوطنات مغلقة) !!

انخفض عدد الهنود بعد هذه المراحل من الحرب والتشريد والطرد إلى ٣٥٠ ألفًا فقط، أي أُبيد على يد الأمريكيين ٧٥٠ ألفًا، وكان هذا هو الرأي الأمريكي في تقرير مصير الشعب الهندي الأحمر!

النموذج الثاني :الأفريقي .. الأسمر .

وتزامنًا مع الحالة الهندية كان الزنوج يُنتزعون من الساحل الغربي لأفريقيا، وكانت تجارة الرقيق تقوم بها مجموعات كبيرة من الشركات والأفراد الأمريكيين، وكانت هذه التجارة تدر أرباحًا وثروات هائلة؛ إذ كان العبيد يباعون مقايضة مقابل التبغ والأرز!! وكانوا بطبيعة الحال يعملون أشق الأعمال وأخطرها، ويُحرَمون من كل شيء، حتى الذي ورد في وثيقة الاستقلال. ومع بداية سنة ١٨٥٠م بلغ عدد العبيد ٣,٢٠٠,٠٠٠ مليون من بين سكان أمريكا الذين كان عددهم ٢٣ مليونًا، وكان الرق غالبًا في الجنوب الأمريكي، وبدأت دعوات في الشمال تطالب بإلغاء الرق، وكان ذلك في بداية عام ١٨٦١م، وكان سكان الجنوب - الذين يرفضون إلغاء الرق - يقارب عددهم ٩ ملايين شخص منهم ٣,٥ مليون عبد، أي أن لكل شخصين من البيض شخصًا من العبيد، وانفصلت الولايات الجنوبية عن الاتحاد، وبدأت الحرب الأهلية الأمريكية (حرب الأشقاء ١٨٦١ - ١٨٦٥م) ونذكر نموذجًا واحدًا من معارك هذه الحرب، وهي معركة (جتسبيرج) التي سقط فيها

خلال ثلاثة أيام فقط ٤٥,٠٠٠ ألف أمريكي ما بين قتيل وجريح ومفقود وأسير!! واغتيل بعدها «إبراهام لنكولن» قبل أن يحسم الخلاف على الرق.

* * *

أمريكا .. نموذج علماني شامل

أمريكا قارة بكر عذراء، مواردها هائلة، أراضيها شاسعة، بعيدة عن العالم القديم، فلم تستنزف ثرواتها في حروب كبيرة ولا احتلال، فالخير الذي أودعه الباري (عز وجل) فيها ما زال بوفرته، وهو ما ساعد على قيام دولة كبيرة غنية، تستغني عن غيرها، وهذه العوامل ساعدت أمريكا على الظهور كقوة كبيرة في العالم.

هذه القارة الجديدة الهائلة كانت مطمع المهاجرين الأوروبيين، وكان الذين سبقوا بالاستيطان يراسلون ذويهم وأصدقاءهم قائلين: هلموا إلى أمريكا . . لقد وجدنا شوارعها مفروشة ذهبًا، وكان ـ كما ذكرت ـ عدد كبير من أولئك من مجرمي الحروب ونزلاء السجون وتجار الرقيق والباحثين عن الذهب والمال، وقد وجدوا في الأرض الجديدة متنفسًا كبيرًا عن الذي عايشوه في أوروبا، من كبت واضطهاد، وفرصة ـ كذلك ـ للثراء، فرصة لأن يكونوا أمة شابة تقف أمام قارتهم الهرمة، فأنشأت هذه العوامل هذه النفوس، وعملت هذه

النفوس على إحياء مبدأ واحد فقط : (المصلحة) ، فمن مصلحة المهاجرين إبادة الشعب الأصلي للأرض كي لا يكون للأرض صاحب آخر يفجر الثورات ، فنقلوا هذا الشعب إلى . . العالم الآخر ! !

واقتضت المصلحة كذلك انتزاع شعب آخر من أرضه قهريًا ، واستعباده في الأرض الجديدة . . شعب يعزل عن أرضه ـ أفريقيا ـ ويزرع هناك ، بلا هوية ، بلا دين ، بلا صلات ، فنقلوه كذلك من دنيا إلى . . . دنيا أخرى لا يرتبط معها بأي رابط .

واقتضت المصلحة كذلك أن تفتح الأرض الجديدة على مصراعيها لشذاذ الآفاق من كل الدنيا للعمل على إحياء الأرض الجديدة ؛ ولكن شريطة التخلي عن الدين والعرق والأخلاق . الشرط الوحيد للبقاء لهذه الفئة من الناس : أن تذوب ذوبانًا كاملاً في ذلك المجتمع ، تعمل فقط ، تأكل فقط ، تتلذذ بما شئت . . فقط .

ولهذا وغيره كانت أمريكا نموذجًا مثاليًا للعلمانية الشاملة ، فهي أرض بدأت من الصفر ، بدأ الحياة فيها قوم لا خلاق لهم ، كان أكبر همهم هو التخلص من الثقافة الأوروبية والنمط

الأوروبي الذي كان يمثل لهم نمطًا من احتلال الأرواح والأجساد معًا؛ لذا كانت نشأة أمريكا متحررة من كل شيء، تبيح لشعبها كل شيء، فلم يكن (لنشأتها) وازع ديني يمنعها من التحرر، ولا أخلاق تحكم التصرفات، حتى أولئك الذين هاجروا إليها من غير الأوروبيين كانوا على استعداد للذوبان فيها، كونهم هربوا من مجتمعاتهم، فكان شعورهم كشعور المستوطنين حين تركوا أوروبا.

إن فهم تلك الأبعاد للنشأة الأمريكية هام جدًا وضروري جدًا لكي يكون مستحضرًا ونحن نتعامل مع هذا النموذج المسيطر، وحتى لا نعجب أو نغتر أو يصيبنا الجزع ونحن نرى هذا الانتفاش الهش.

إن الشيء الوحيد الذي يهتم به الأمريكي هو مصلحته، وأن يعيش مستمتعًا: يأكل بشراهة، يشرب كأنه لم يذق الشراب من قبل، المهم أن يستمتع، وهذا مما أشارت إليه (الواشنطن بوست) في افتتاحيتها عقب الإعلان عن فوز «كلينتون» بالرئاسة الأمريكية للمرة الثانية قائلة: «الأمريكيون مهتمون فقط بأمور الزبدة والخبز، ويعتبرون النظام السياسي . .

مجرد جهاز إداري، إن هذه النزعة لتهميش الوظيفة السياسية المؤسساتية تفسر إعادة انتخاب الأمريكيين لـ «كلينتون» رغم وعيهم لتجاوزاته الأخلاقية؛ لأن همهم أن يكون رئيسًا إداريًا جيدًا، وليس نموذجًا للأخلاق والمثالية» .

كذلك هناك النزعة التوسعية المتأصلة في النفس الأمريكية، وعقلية المستوطن المحتل الذي يقيم حياته على رفات غيره من البشر؛ هذه العقلية التوسعية، صارت كذلك مدعاة للفخر والمباهاة، ففي الحوار الذي أجرته مجلة (أتلانتك) ونشرت مجلة (المجلة) جزءًا منه مع د. «بنجامين سوارتز» الخبير في الاستراتيجية الأمريكية في معهد السياسة العالمية في (نيويورك) أجاب عن السؤال التالي: لماذا تريد أمريكا أن تحكم؟ فأجاب: ربما السؤال الصحيح، لماذا تظن أمريكا أن من واجبها أن تحكم العالم؟ والإجابة هي أن التوسع جزء من التراث الأمريكي، في الماضي كان التوسع جغرافيًا بتأسيس ولايات أمريكية في مناطق الهنود الحمر، حتى وصلنا إلى المحيط الهادي، ثم أسسنا ولاية في جزر (هاواي)، ثم وقفنا أمام طموح الآسيويين أنفسهم، ولهذا تحول التوسع الأمريكي بعد

الحرب العالمية الثانية وخلال الخمسين سنة الماضية . . إلى توسع اقتصادي .

* * *

المصلحة استراتيجية أمريكية

مصلحة أمريكا أولاً وآخراً، هذه باختصار إحدى البدهيات الأولى لاستراتيجية السياسة الأمريكية تجاه العالم.

في سؤال طرحته مجلة «تايم» الأمريكية الأسبوعية، مع إيرادها الإجابة عليه في الوقت نفسه: لماذا طالب الجمهور الأمريكي بسحب القوات الأمريكية من الصومال، على الرغم من أنه لم يقل شيئًا عن طلعات الطيران الأمريكي فوق العراق وسقوط طائرتي هليوكوبتر، ومقتل ١٥ جنديًا أمريكيًا؟ والجواب: الفرق واضح، فالجمهور الأمريكي يفهم أن البترول يمثل «مصلحة حيوية» وأن صدام طاغية يأمل في صنع أسلحة نووية ويمثل خطرًا على الأمن الأمريكي.

سؤال آخر طرحته المجلة ذاتها مع التدخل الأمريكي في البوسنة: ما الذي يجعل البوسنة تستحق الموت من أجله؟ ما المصلحة القومية في ذلك؟ أما الجواب فكان من الرئيس الأمريكي وتبعه وزير الدفاع السابق، أما كلينتون فأجاب: «إذا لم نقم بالجزء الذي يخصنا من مهمة حلف الناتو فسنضعف

التحالف، ونعرض الزعامة الأمريكية في أوروبا للخطر».

أما وليام بيري وزير الدفاع السابق فكان موافقًا رئيسه في «أن مهمة حفظ السلام في البوسنة تؤثر على مصالح الأمن القومي الأمريكي من خلال الحفاظ على مصداقية حلف الناتو».

* * *

أقسام المصلحة الأمريكية :

تنقسم المصالح الأمريكية إلى أقسام ثلاثة :

١ ـ مصالح استراتيجية : وهي التي تمس الأمن القومي الأمريكي مباشرة، وتؤثر على مصالحها الذاتية بصورة بالغة، أو ترى أنها تهدد الزعامة الأمريكية للعالم، وأوضح الأمثلة على ذلك : بقاء كيان يهود بين الدول الإسلامية، ثم البترول العربي، ولعله لا يوجد ما نستدل به على ذلك أفضل من إخبار هنري كسينجر اليهودي، وزير الخارجية الأسبق لأحد المسؤولين العرب عند حظر البترول : أن أمريكا أعدت خطة لاحتلال أحد منابع النفط في الخليج وبالتحديد «أبو ظبي» وليمنع العرب ما شاؤوا!

٢ ـ مصالح ملحة : وهي مصالح تؤدي إلى خدمة المصالح الحيوية بصورة كبيرة، كالحفاظ على الأنظمة الصديقة في العالم، ونجاح عملية السلام، ومحاربة الإرهاب كمهدد للأنظمة الصديقة ومقوض لعملية السلام.

٣ ـ مصالح تكتيكية : وهي غالباً ما تكون للمناورة وإثبات الذات والظهور الدائم على الساحة العالمية والإعلامية كالضغط

على إيران والعراق، والسودان وسوريا وليبيا كدول إرهابية ومساندة للإرهاب!!

ولن نجهد كثيرًا للبرهنة على أن المصلحة عقيدة سياسية، بل هي المحرك الأساس للسياسة الخارجية الأمريكية، فالنبرة المصلحية واضحة جدًا في الخطاب الرسمي الأمريكي بداية من الرئيس، ومرورًا بوزرائه، وانتهاءً بالفرد العادي.

في كتاب: «بين الأمل والتاريخ» يحدثنا كلينتون عن المصلحة الأمريكية بشيء من التفصيل فيقول: «إن على أمريكا أن تكون قوة فاعلة في تحقيق السلام العادل في عالم مليء بالصراعات، ليس ثمة طريقة أخرى (لتدعيم أمننا) على المدى الطويل، إن علينا أن نتحمل مسؤوليتنا تجاه ذلك العالم، لا أن نقف منه موقف غير المبالي؛ فعندما تصبح التحالفات ضرورية، فإن علينا أن نقيمها، وعندما تصبح المفاوضات ضرورية، فإن علينا إجراءها، وعندما تصبح الاستثمارات مطلوبة، فإن علينا تقديمها، وعندما تصبح القوة مطلوبة (لضمان أمننا) فإن علينا استعمالها، ومعنى ذلك كله: أن علينا الترحيب بآمال العالم وثقته لا أن نُعرض عنه، ليس لأجل

العالم فقط . . بل لأجلنا نحن أيضًا»، أما روبرت دول زعيم الأغلبية السابق في الكونجرس، فكتب دراسة في مجلة (فورين بولسي) في العام ١٩٩٥م، بعنوان: تشكيل مستقبل الولايات المتحدة، وكان أكثر وضوحًا من كلينتون في شرح استراتيجية المصلحة، يقول: «صحيح أن التلوث البيئي والتفجر السكاني في إفريقيا أو جنوب آسيا مشكلتان، لكن تأثيرهما على (مصالح أمريكا) هامشي في أحسن الأحوال، ولا شك أن المجاعة في الصومال ورواندا مأساوية يتعين على أمريكا مد يد المساعدة الإنسانية في الكوارث وفقًا لمواردنا وبطريقة لا تفضي إلى نسف جاهزيتنا العسكرية، غير أن الأحداث في رواندا والصومال لا تنطوي - في أسوأ الأحوال - إلا على تأثيرات هامشية بالنسبة لأمريكا. إننا لا نستطيع أن نستمر في نسف سمعة قواتنا المسلحة من أجل عمليات إنسانية (لا تفعل شيئًا في مجال تعزيز مكانة أمريكا!! فلا تجوز المخاطرة بحياة الأمريكيين إلا دفاعاً عن المصالح الأمريكية) إن من شأن مثل هذه التحركات أن تزيد صعوبة إقناع الأمهات والآباء الأمريكيين بضرورة إرسال أبنائهم وبناتهم إلى المعركة (التي

تكون مصالحنا الحيوية معرضة فيها للخطر) لن يطيق الشعب الأمريكي إصابات أمريكية في سبيل . . . أمية غير مسؤولة».

أما مادلين أولبرايت فإنها تُجْمِلُ سياسة وزارتها في أن الأهداف الحيوية : «تأمين مصالح الولايات المتحدة»، والتوسع بها لتشمل الكرة الأرضية.

وكثيرًا ما ترى المحللين والكتاب عن السياسة الأمريكية يجهدون أنفسهم في تفسير المواقف المتناقضة والمزدوجة للولايات المتحدة، ويذهبون في ذلك مذاهب شديدة الغرابة لا تخلو من الطرافة أحيانًا، ومن اللامعقولية أحيانًا أخرى في فهم السياسة الأمريكية، ونحن نوقن أن السياسة الأمريكية ليس لها محرك حقيقي إلا المصلحة الأمريكية فقط.

* * *

هكذا تكون الأمركة

أولا: الأمركة بالقوة و... دبلوماسية الإجبار .

تتحرك الولايات المتحدة لأمركة العالم من أجل مصلحتها في البقاء والسيطرة، واستنزاف الدول، وهي في هذا السعي تستعمل ـ من وجهة نظري ـ طريقتين لفرض هذه الأمركة، وكل واحدة منهما تكشف عمّا أوردتُه في البداية من النزعة الاستيطانية، وحب السيطرة، والحياة على أنقاض غيرها من الشعوب، وكما استعرضنا سريعًا النشأة الأمريكية كدولة جديدة في العالم، فإننا نستعرض كذلك سريعاً ـ أيضًا ـ نشأة الولايات المتحدة كقطب وحيد في العالم الحديث، وهي الفترة التي لم تتجاوز نصف قرن من عمر البشرية .

كان بروز أمريكا أثناء الحرب العالمية الثانية وعقبها بعد انتصار الحلفاء على دول المحور، وكانت القوانين قد حالت دون المشاركة في الحرب من بدايتها، وذلك لتشريع الحياد الذي اتبعته الولايات المتحدة، ولكن استراتيجية «المصلحة» كانت

بارزة في الحرب، فتحتم تغيير القوانين، فألغى مجلس النواب بسرعة قانون الحياد بحجة مساعدة فرنسا و«بريطانيا» !! وأصدر قانونًا يقضي ببيع الأسلحة للدول المتقاتلة . . (نقدًا)، ولكن بريطانيا لم تعد تتحمل الدعم المالي النقدي لجيشها، فما كان من روزفلت ـ الرئيس الأمريكي وقتها ـ إلا أن اقترح قانونًا سمي بقانون الإعارة والتأجير، فلا يمكن تفويت مثل هذه الفرصة دون استغلال، ووافق الكونجرس في مارس ١٩٤١م، على القانون الذي يقضي بإعارة مواد خام ومعدات لأي دولة تقاتل المحور، وبالفعل تسلمت ٣٨ دولة ما مجموعه ٥٠ بليون دولار!!

وتطورت الأحداث وضربت اليابان ـ التي كانت أمريكا تعترض على توسعها آسيويًا ـ ضربت الأسطول الأمريكي في جزر هاواي مما كان سبباً إلى جر الولايات المتحدة إلى الحرب، وفي ٩ إبريل ١٩٤٢م استسلم ٧٥ ألف جندي أمريكي من القوات الأمريكية في الفلبين للقوات اليابانية، واضطر معظم الأسرى أن يسيروا ما يفوق المئة كيلو مترًا سيراً على الأقدام إلى معسكرات الاعتقال ومات كثير من الأسرى بسبب المرض وسوء

المعاملة أثناء ما عرف وقتها بـ «مسيرة الموت» ونذكّر بما حدث للهنود على يد الأمريكان وهي الأحداث التي سميت: «رحلة الدموع»، وقتل في الفلبين على يد اليابانيين ١٤ ألف أمريكي وجرح ٤٨ ألفًا، أما اليابان فكان عليها أن تفهم العقلية الانتقامية الأمريكية التي ترى في الانتقام لذة تساوي لذة الحياة التي يعشقونها، فكان عدد القتلى اليابانيين في معركة الفلبين ٣٥٠ ألف جندي.

أحد المناضلين ضد قضايا العنف السائد في أمريكا «ديك هايماكر» يقول: المشكلة الحقيقية تكمن في كون الأمريكيين لم يتخلصوا ـ رغم السنين ـ من نفسية المستوطنين الأوائل لهذه الأرض، وعلينا أن نفهم أننا في هذا المضمار لا نعتبر دولة متحضرة.

كان فهم هذه العقلية غائبًا عن اليابانيين الذين لم يكتف الأمريكان بما قتل في الفلبين منهم، بل كان على طوكيو نفسها أن تتلقى درسًا غاية في القسوة من خلال فن الانتقام، فلم يكن القائد الأمريكي للقوات الجوية (هانزل) بالرجل المطلوب لتنفيذ فلسفة القتل الأمريكية، ولذا: فقد جرى

استبداله في ٢٠/ ١/ ١٩٤٥م بالجنرال (ليماي)، الذي كان من أصحاب نظرية: اقتل أكثر تربح بشكل أفضل، فكان هجوم قواته الجوية على العاصمة طوكيو في ١٠/ ٣/ ١٩٤٥م، وألقى ١٥٠ طنًا من القنابل، أسقطتها ٧٢ طائرة قاذفة، وعلى أثرها تهدم ٢٨ ألف منزل، وقُتِلَ مئة ألف ياباني في يوم واحد!!

لم يكن هذا كافياً، فجاءت القنبلة النووية الأولى التي حملت اسم: (الفتى الصغير) وألقيت على هيروشيما اليابانية، لتخلف وراءها ما يقارب المئة ألف قتيل، وثلاثة عشر كيلو متراً مربعًا من الأرض مدمرة تدميراً شاملاً، وكان ذلك في ٦/ ٨/ ١٩٤٥م، وبعد ثلاثة أيام فقط جاء دور قنبلة: (الرجل السمين) النووية لتسقط على مدينة نجازاكي لتقتل ٤٠ ألفًا من السكان، ومات فيما بعد عدة آلاف من آثار الإشعاع الناتج عن القنبلتين، وهنا أعلن اليابانيون الاعتراف بالهزيمة، واكتفى الأمريكان بهذا العدد من القتلى!

كان من الضروري ذلك الاستعراض السريع لأكبر حرب خاضتها الولايات المتحدة خارج أراضيها؛ لعدة أسباب نفهم من

خلالها النموذج الأمريكي المتربع على عرش العالم :

١ـ فهم النفسية الانتقامية لدى الشعب الأمريكي .

٢ـ الاستغلال السيئ للشعوب ، ما دامت المصلحة الخاصة قائمة .

٣ـ أن هذه المرحلة شهدت نشوء أمريكا كقوة عظمى .

٤ ـ شهدت هذه المرحلة كذلك ازدياد القناعة الأمريكية بضرورة تطوير الكفاءة العسكرية ؛ إذ هي عماد القوة والسيطرة .

٥ ـ الانضواء الأوروبي تحت اللواء الأمريكي ؛ إذ خرجت أوروبا منهكة مدمرة في أمسِّ الحاجة للمساعدة الأمريكية .

٦ ـ تبلور سياسة أمريكية جديدة ـ وخاصة بعد الاختلاف مع الاتحاد السوفييتي الذي كان أهم أسبابه ، الاتهام بتشجيع نشر الشيوعية في أوروبا ـ في فترة ما سمي بالحرب الباردة والانقسام الهائل الذي حدث في العالم واختلاف موازين القوى .

والذي يهمنا هنا أكثر ، هو القناعة الأمريكية بضرورة التفوق العسكري وحتمية الانتشار والتدخل ؛ إذ هي الطريقة

الأكثر جدوى، ونقف الآن على تفصيلات الحقائق حول هذه القناعة من خلال مرئيات الساسة وصناع القرار.

ـ بيل كلينتون رئيس العالم يتحدث عن دور القوات الأمريكية في صناعة الزعامة الأمريكية: «تمتلك أمريكا اليوم أفضل قوة قتالية في العالم من حيث التدريب والتسليح والاستعداد؛ وهذا هو أكثر من أي حقيقة أخرى !! وإننا لنفضل الدبلوماسية على القوة؛ غير أننا مستعدون لاستعمال القوة العسكرية عندما يكون ذلك ضرورياً للدفاع عن مصالحنا القومية، وكما كنا طيلة هذا القرن، فإننا سنقود بقوة المثال الذي نقدمه للعالم، غير أننا مستعدون أن نجعل قوتنا.. هي ذلك المثال؛ ولهذا فإن مجرد التهديد بقوتنا أصبح اليوم كفيلاً بردع المعتدين كما شاهدنا أخيراً عندما استنفرنا قواتنا في الخليج رداً على محاولة صدام حسين المجهضة لحشد قواته مجدداً على حدود الكويت»، ويضيف في مكان آخر من كتابه: «عندما تسلمت منصب الرئاسة كانت هناك استراتيجية جديدة ونحن ندخل القرن الحادي والعشرين وهي استراتيجية تتألف من ثلاث مراحل، ـ ويخصنا هنا صدر

الحديث ـ وهو: «. . . تقضي بجعل الشعب الأمريكي أكثر أمنًا، وذلك عن طريق المحافظة على قواتنا العسكرية وتحالفاتنا بحيث نتمكن من درء الأخطار الرئيسية التي تهدد أمننا كانتشار أسلحة الدمار الشامل والإرهاب».

لقد سببت القوة الأمريكية للرؤساء والساسة الأمريكان ـ وخاصة بعد حرب الخليج ـ ما سمي مرض «نشوة النصر» فهم يعيشون تحت وهم الاعتقاد بأن التفوق الأمريكي أمر مفروغ منه وأنه تفوق هائل وغير مسبوق، وهذا ما يفسر الصلف في التصريحات والعنجهية المقيتة في الخطاب الاستصغاري للعالم، وقد اعتمدت الولايات المتحدة القوات المسلحة عنصرًا رئيسًا لأمركة العالم وذلك بما يمكن أن نقسمه إلى ثلاث طرق:

الأولى: إنشاء قوة عسكرية متفوقة والتحكم في سوق السلاح الدولي.

الثانية: العمل على الحد من انتشار الأسلحة التي لا رغبة لها في انتشارها.

الثالثة: تعميم النموذج العسكري الأمريكي في العالم؛ وذلك بتدريب وأمركة العسكر في الدول الصديقة.

وبهذه الحلقات يكتمل الدور المطلوب من القوة العسكرية لتحقيق الأمركة .

ونأتي إلى تفصيل هذه الطرق حتى يتبين لنا حجم التخطيط والكيد الشيطاني لفرض نمط غير صالح للتعميم .

* * *

الطريقة الأولى للأمركة بالقوة :

(السيطرة على سوق السلاح).

صدر في أكتوبر ١٩٩٦م تقرير المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية حول ميزان القوى العسكرية في العالم عام ٩٦/ ١٩٩٧م، وأكد التقرير أن أمريكا هي أكبر بائع للأسلحة في العالم، فقد بلغت قيمة مبيعاتها خلال عام ١٩٩٢م ١٥ بليون دولار، ثم ارتفعت إلى ١٧,٥ بليون دولار عام ١٩٩٣م، وهبطت إلى ١٥,٢ بليون دولار عام ١٩٩٤م و١٣,٣ بليونًا عام ١٩٩٥م، أما المركز الثاني فكان من نصيب بريطانيا التي كان إجمالي مبيعاتها عام ١٩٩٥م ٤ بلايين و ٨٠٠ مليون دولار.

وذكرت صحيفة واشنطن بوست أن الرئيس الأمريكي بيل كلينتون قام في ديسمبر ١٩٩٥م بالاتصال بمسؤول كبير في دولة الإمارات حثه على شراء ما يصل إلى ٨٠ طائرة من طراز إف ـ ١٦ من مؤسسة لوكهيد مارتن الأمريكية العملاقة المتخصصة في الصناعات العسكرية والدفاعية ـ وقد تمت الصفقة مؤخرًا ـ فهل نصدق إذن ما يتشدق به الساسة الأمريكان دائماً ومطالبتهم أن يعيش العالم في سلام وأمن، وأن

تُحل المشاكل دون اللجوء إلى العنف حتى يكونوا شركاء طيبين لأمريكا!!

إذن: لماذا هذا الكم الهائل من مبيعات الأسلحة لمختلف دول العالم، وخاصة بؤر الصراع والنزاعات المشتعلة منه، والتي لأمريكا فيها «جهود سلمية» لحل النزاعات؟! المسألة تبدو معقدة في بدايتها ولكن بالنظر إلى الاستراتيجية الأمريكية يتبين حرص الولايات المتحدة على انتشار أسلحتها في العالم لأسباب عدة:

١ـ الأموال الطائلة التي تجنيها من وراء صفقات بيع الأسلحة وتشغيل المصانع والعمال، وهو ما يساعد على الانتعاش الاقتصادي للدولة.

٢ـ ارتباط الدول المستوردة بأمريكا؛ وذلك لضرورة الحاجة إلى التدريب على هذه الأسلحة، وقطع غيارها، وأنواع الذخيرة المحددة لها، وبهذا تضمن أمريكا أكثر من ميزة لبيع السلاح الواحد.

٣ـ الحضور المستمر في بؤر الصراع لاستخدامه سلباً وإيجاباً للمصلحة الأمريكية ولإثبات القدرة على التحكم بالتدخل السريع وحسم النزاع وتغيير موازين القوى في مناطق الصراع،

وليس أدل على ذلك من النموذج الإفريقي ، الذي خسرت فيه فرنسا خسارة كبيرة لصالح الولايات المتحدة ، ولهذا كان من الضروري لأمريكا الاحتفاظ بقوة عسكرية تخدم أهدافها .

* * *

لمن كل هذه القوة ؟!

الآن تعد أمريكا خطة لتطوير معمل « لوس ألاموس القومي» بولاية «نيومكسكو» وهو المصنع الذي أنتج قنبلتي (الفتى الصغير) و (الرجل السمين) اللتين ألقيتا على هيروشيما ونجازاكي، على أن يستأنف «الإنتاج» عام ٢٠٠٣م أي بعد ست سنوات من الآن فقط.

أما وزارة الدفاع الأمريكية فتقدمت بخطة إلى الكونجرس الأمريكي تبين مطالبها العسكرية للفترة القادمة ومتطلبات القوات الأمريكية؛ فالقوة الجوية الأمريكية تريد الحصول على ٤٣٨ طائرة من طراز (إف ـ ٢٢) المقاتلة الخفية التي يبلغ ثمن الواحدة منها ١٦٠ مليون دولار، وطلبت البحرية الأمريكية ١٠٠٠ طائرة متقدمة، أما الجيش فيريد الحصول على ١٢٩٢ طائرة هيلوكبتر من طراز (كوماتشي) وتريد قطاعات القوات المسلحة كلها معاً الحصول على ٩٧٨ طائرة مقاتلة ضاربة، وهذه القائمة تبلغ قيمتها ٤١٥ بليون دولار.

ونتساءل: لمن كل هذه القوة ؟ نائب رئيس هيئة الأركان المشتركة الجنرال جوزيف رالستون قدم لأعضاء الكونجرس

وثائق وخرائط تظهر أماكن انتشار الطائرات في مختلف أنحاء العالم والتهديد المحتمل الذي تثيره هذه الطائرات للأمن الأمريكي، وقال إنها تزيد عن ٦٠٠ طائرة، إشارة منه إلى مواضع الخطر على أمريكا، ولكن مجلة تايم تعلق على هذا بأن هذه الطائرات ملك لدول صديقة أو حليفة كبريطانيا وفرنسا وكندا وغيرها من الدول.

ونضيف: أن أعداء أمريكا (إيران، العراق، كوريا الشمالية) لديهم حوالي ١٠٠ طائرة هجومية وسيزيد العدد إلى ١٢٠ طائرة بحلول عام ٢٠٠٥م!.

ويتساءل معنا السناتور الأمريكي والمرشح السابق للرئاسة الأمريكية عن الحزب الجمهوري، (جورج ماكغفرن) السؤال نفسه في مقاله بجريدة الحياة في ٢٧/ ٣/ ١٩٩٧م يقول: لكن السؤال: لماذا علينا تهيئة قوات أمريكية كبيرة محتملة للدفاع عن كوريا الجنوبية ضد أي هجوم من كوريا الشمالية؟ فيما نعرف أن بمقدور كوريا الجنوبية الدفاع عن نفسها ودحر الشمال، لماذا نضطر إلى تهيئة قوات إضافية لحرب محتملة ضد العراق بعدما برهنا في عاصفة الصحراء أن في إمكاننا دحر

الجيش العراقي بـ ١٧٪ فقط من قواتنا، وفي الوقت الذي كان العراق فيه أقوى بكثير مما هو عليه اليوم؟ عندما ننظر بعناية إلى سياستنا الدفاعية الحالية، نجد أن الكثير منها «يصعب تبريره».

جزء مهم من سؤالنا يجيب عليه كذلك وزير الدفاع السابق وليام بيري، وذلك فيما نشره في فصلية: (فورين أفيرز) الشؤون الخارجية في نهاية عام ١٩٩٦م تحت عنوان: «الدفاع في عصر الأمل»، ولكن قبل الإجابة لا بد من المرور سريعاً للتعريف بكتاب: «الحرب المقبلة» لكاسبر واينبرجر، وزير الدفاع الأمريكي في عهد ريجان ولمدة سبع سنوات، وكأي وزير دفاع فقد كان مطلعاً على كل الخطط المستقبلية للدولة وعلى دراية بأهدافها الاستراتيجية.

والكتاب يتحدث عن إسقاطات مستقبلية افتراضية عن احتمالات لنشوب أكثر من حرب في وقت واحد، وهي - حسب الافتراض - تبدأ عام ١٩٩٨م، وهذه الحروب هي: غزو كوري شمالي لكوريا الجنوبية وفي الوقت نفسه غزو صيني لتايوان، ثم رد انتقامي من الولايات المتحدة على إرهاب نووي

إيراني عند احتلالها لدولة الإمارات، وتفصيلات كثيرة عن حرب موسعة في منطقة الخليج تكون في عام ١٩٩٨م، وعدوان من جانب ديكتاتور روسي، وقيام حالة فوضى عارمة وعدم استقرار في المكسيك مما يهدد حدود أمريكا الجنوبية، وأخيراً هجوم ياباني على دول أخرى في منطقة الباسيفك.

وهذا الكتاب ـ رغم كونه افتراضياً ـ إلا أنه لا يخلو من حقائق مهمة، ونذكر أن حرب الخليج (عاصفة الصحراء) كانت افتراضية في العام ١٩٨١م! وجدير بالذكر أن مؤلف الكتاب حصل على نمط «الصليب الأكبر» بدرجة فارس من المملكة إليزابيث.. كان هذا التعريف مجرد تذكير.

نعود إلى وليام بيري وإجابته على جزء من السؤال المطروح، يقول: «لا نزاع أن خطر اندلاع صدام عالمي قد انخفض كثيراً عنه أيام الحرب الباردة، ولكن طالما أن هناك أسلحة نووية فإن الخطر لا يزال قائماً، ولذلك فإن الولايات المتحدة (تحتفظ بقوة نووية مخفضة، ولكنها شديدة المفعول كعامل ردع) ومن أجل ردع أي صدام إقليمي يتعين على الولايات المتحدة أن تحتفظ بقوات مسلحة تقليدية قوية وجاهزة وجيدة الانتشار في جبهات

متقدمة، وأن يكون حضورها علنياً ومحسوساً حتى يكون بوسعها إظهار قدرتها العسكرية الحاسمة (أينما ظهر ما يهدد المصالح الأمريكية) وللدلالة على عزمها على استعمالها، فالولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة على الأرض (التي لها مصالح أمنية على نطاق العالم كله) وبؤر التوتر الساخنة في أوروبا والشرق الأوسط وآسيا يمكن أن تنفجر دون سابق إنذار (فتهدد بذلك المصالح الحيوية الأمريكية)، ولذلك فإن حجم القوات المسلحة وتكوينها يقوم على أساس حاجتنا إلى الردع، وإذا لزم إلى القتال والانتصار في تنسيق كامل مع حلفائنا الإقليميين في (صدامين إقليميين قد يقعان في وقت واحد) - ما نظن أن هذا افتراضي أيضاً - والمبدأ الأساس هنا: أن الولايات المتحدة إنما تقاتل لكي تنتصر!! وليكون انتصارها حاسماً وسريعاً وبأقل ما يمكن من الخسائر».

* * *

القوة الأمريكية.. ونهاية التاريخ.

لعل هذه الوقفة تجيب على جزء مهم من السؤال المطروح أولاً؛ فبعد الانهيار السوفييتي، واستفراد الولايات المتحدة بالعالم نشرت أمريكا روح الإحباط لدى شعوب كثيرة، بأنَّ التاريخ شارف على نهايته بهذا الاستفراد، وأن الديمقراطية الغربية هي الوحيدة القابلة للحياة بعد انهيار الشيوعية، وأن التاريخ قد توقف عند انتصار النظام الأمريكي الحالي؛ ولذلك كان ما يُسمى بـ «نظرية نهاية التاريخ».

وعقب نهاية الحرب العالمية الثانية وضع «جورج كينان» الدبلوماسي والأستاذ الجامعي نظرية: «احتواء الشيوعية» وأكد أن القضاء على النازية ـ وقتها ـ ليس نهاية المشكلة العالمية، وأن الشيوعية ستصبح الخطر الجديد، وأنها ستهدد الغرب؛ ولا بد من احتوائها بتأسيس أحلاف عسكرية تحيط بالاتحاد السوفييتي، ووضع خطط لمنع انتشار الشيوعية في الدول الغربية والعالم الثالث.

ويجيء الآن «د. صمويل هنتنجتون» أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد، ومدير معهد الدراسات الاستراتيجية

فيها، وكان قبل خمسة عشر عامًا ـ في عهد إدارة القس الأمريكي «جيمي كارتر» ـ مسؤولاً عن «التخطيط في مجلس الأمن القومي»، يجيء ليضع نظرية: (صدام الحضارات) ويقول: «إن القضاء على الشيوعية ليس نهاية المشاكل العالمية، وإن الإسلام هوالعدو رقم واحد الذي يمثل الخطر الحقيقي على الحضارة الغربية».

ولن نساير من ناقش هذه النظرية، وفنّد حقائقها، وأنها مجرد «نظرية» وأنها مفتقرة إلى أبسط قواعد المنهج العلمي؛ فاحتواء الشيوعية كان مجرد نظرية.

ثم بماذا نفسر هذا الإلحاح المقيت على خطر الإرهاب والأصولية الإسلامية؟

ومما يؤيد ما نذهب إليه سؤال مجلة: (أتلانتك) للدكتور «بنجامين سوارتز» الخبير في الاستراتيجية الأمريكية في معهد السياسة العالمية بنيويورك:

س: بعد حرب الخليج ـ لاحظ التحديد ـ أكثرت أمريكا من استعمال كلمة: «الإرهاب»، وقال البعض: إن الإرهاب حل محل الشيوعية؟

ج: هذا صحيح . . لكن شعار مكافحة الشيوعية خلال الخمسين سنة الماضية كان (مجرد ستار) لسيطرة الشركات الأمريكية على العالم، وكان ذلك باستعمال القوة العسكرية، وبمشاركة ومعرفة جنرالات البنتاجون؛ ولهذا أقول بأن «مكافحة الإرهاب» ليس إلا شعارًا جديدًا، ولا بد أن جنرالات الجيش الأمريكي سعداء جدًا؛ لأنهم «وجدوا هدفًا جديدًا» ولا بد أنهم يعرفون دورهم التاريخي.

ولعل هذا الموضوع يحتاج ـ لأهميته ـ إلى دراسة خاصة تبين الموقف الإسلامي الحقيقي منه؛ إذ إن أغلب من تكلم حول هذه النظرية ـ للأسف ـ من القوميين والعلمانيين!

* * *

الطريق الثاني للأمركة بالقوة: «انفراد القوة»:

كان الطريق الثاني الذي اتبعته أمريكا لفرض سيطرتها عن طريق القوة العسكرية هو الحد من انتشار الأسلحة النووية والكيماوية وغيرها مما لا رغبة لأمريكا في امتلاكه وهذا الطريق مكمل للأول وهو ما نسميه: «انفراد القوة» فبعد السيطرة على سوق السلاح العالمي، وبناء قوة عسكرية كبيرة، كان لا بد من إلجام الدول عن أن تفكر في الوصول إلى هذا المستوى من القوة لئلا تهدد الأمن القومي الأمريكي.

وهذا الطريق يجعل من الملزم لأمريكا أن يكون لها عدو دائم تسوِّغ به سياستها التوسعية ونفوذها العالمي؛ فتحالفات أمريكا مع الدول الصديقة لها، ليس هناك ما يجعلها متماسكة أكثر إلا الإيهام الأمريكي بعدو مشترك يهدد مصالح الجميع؛ ولذا تجد الدول الغربية وغيرها من حلفاء أمريكا تسير في الركب وهي مقتنعة بوجود هذا التهديد!

أما أمريكا فمطالبة بإيجاد ذلك العدو واصطناعه بما يضمن لها الانتفاع من تلك التحالفات؛ وأكبر الانتفاع هو تمويل البرامج الوقائية والدفاعية لأمريكا؛ والعجيب أن الدول الحليفة

هي التي تطالب بدفع النفقات تطوعًا ! !

تقول «مارجريت تاتشر» رئيسة وزراء بريطانيا السابقة في تقديمها لكتاب واينبرجر : (الحرب المقبلة) : إن الولايات المتحدة سوف تتعرض لتهديدات بالصواريخ طويلة المدى في بداية القرن القادم ـ لاحظ أيضًا التوقيت ـ وإن الرد المناسب لذلك هو بناء نظام دفاعي عالمي للصواريخ عابرة المحيطات تكون له الأولوية المطلقة في الإنتاج ، «وأن يقوم حلفاء أمريكا بدفع فاتورة بناء هذا النظام» ! !

ويفسر تلك الظاهرة السياسية ـ وهي الانسياق في الركب الأمريكي مع الاقتناع بعدو مشترك ـ د . «أرون فرايد بيرغ» ، الأستاذ المساعد لمادة السياسة والشؤون الدولية في جامعة برينستون في دراسة بعنوان : «مستقبل قوة أمريكا» فيقول : «إن السبب وراء حرص الآخرين على الاهتمام بهواجس أمريكا والقبول بقيادتها : أن هؤلاء في اللحظة الراهنة ـ على الأقل ـ لا يريدون الاضطلاع بهذه الأعباء ، ولكن من غير المحتمل أن يدوم هذا الوضع ، فمن جهة فسوف يؤدي ذلك الوضع إلى دفع أمريكا حلفاءها السابقين باتجاه الاضطلاع بقدر أكبر من

المسؤوليات، ومن جهة ثانية فمن شأن ما تبذله الولايات المتحدة بالإبقاء على هيمنتها عبر اجتراح صفقات جديدة، وتحويل نسبة أكبر من ترتيب التكاليف الموجودة إلى الآخرين أن يتمخض عن النتيجة ذاتها، وفي أوروبا وآسيا ستسير الولايات المتحدة وحلفاؤها القدامى في طرق منفصلة!! ففي غياب أي تهديد يعد أي اتجاه نحو التوحيد يبدو بروز سياسات أكثر استقلالاً على الصعيدين الدبلوماسي والعسكري أمرًا محتومًا، كما يبدو أن تطور سياسات اقتصادية أكثر احتمالاً. إن تفكك التحالفات بسرعة سيذهب معه كثير من النفوذ الذي كانت الولايات المتحدة تستمده يومًا من واقع كونها زعيمة التحالف».

فللحفاظ على النفوذ، لا بد من تحالف، ولبقاء التحالف، لا بد من وجود عدو يحاربه هذا التحالف، وأمريكا مطالبة باستمرار بإيجاد ذلك العدو!

* * *

من أعداء أمريكا.. وما قوتهم؟

هناك أعداء يستطيعون إحداث تدمير بالولايات المتحدة من خلال استخدام أسلحة جديدة، كالصواريخ العابرة للمحيطات، ورؤوس حرب بيولوجية وكيماوية ونووية، وهناك ٢٥ دولة لديها مثل هذه الصواريخ، وهذا العدد سيزداد خلال العقد القادم، وفي تقرير وزارة الدفاع الأمريكية فإنه بحلول عام ٢٠٠٠م سيكون هناك تسع دول نامية يمكنها تملك أسلحة نووية، و٣٠ دولة يمكن أن يكون لديها أسلحة كيماوية، وثماني دول أخرى يمكن أن تمتلك أسلحة بيولوجية، أما تقديرات وكالة المخابرات المركزية (سي. آي. إيه) فتقول: إنه من المتوقع بنهاية هذا العقد (التسعينات) أن تدخل خمس دول أخرى النادي النووي، ومرَّ بنا أن كلاً من إيران والعراق وكوريا الشمالية ـ أعداء أمريكا الحاليين ـ سيكون لديهم بحلول عام ٢٠٠٥م (١٢٠) طائرة هجومية طبقًا لتقديرات البحرية الأمريكية.

تلك هي التقديرات الرسمية الأمريكية، أما التقديرات التحريضة فتأتي من جانب صاحب الكتاب «الافتراضي»

واينبرجر، وهي تختلف تمامًا وتكـذب التـقارير الرسـمـية، فيعتقد واينبرجر أن وكالة المخابرات الأمريكية تسيء التقدير، وهي تقديرات يغلب عليها التفـاؤل! ويضـرب مـثلاً بحـالة العـراق.. فـقـبل حـرب الخليج الثـانيـة كـانت تقـديرات الـ (سي.آي.إيه) تفيد أن صدام حسين لا زال أمامه سبع سنوات على الأقل ليتمكن من الوصول إلى تحقيق قدرات إنتاج أسلحة نووية، إلا أنه اتضح لخبراء وكالة الطاقة النووية بعد الحرب، وعندما قاموا بفحص إمكانات بغداد، أن العراق على وشك التوصل لإنتاج أسلحة نووية في خلال ثلاث سنوات فقط، كما أن الأقمار الصناعية أخفقت في تحديد قدرات العراق على إنتاج أسلحة نووية أو كيماوية؛ فعندما بدأت الحرب كان لدى المخططين الأمريكيين العسكريين هدفان نوويان في القائمة لضربهما، ولكنَّ مفتشي وكالة الطاقة النووية استطاعوا بعد الحرب تحديد ستة عشر مصنعًا رئيسًا كان يجب تدميرها! وعليه فليس هناك معلومات كافية بما يجري في بقية أرجاء العالم!

ولم ينسَ الكاتب (وزير الدفاع السابق) أن يحرض على

روسيا . . «إنه في الوقت الحاضر بالتحديد وليس بعد ثلاث إلى خمس سنوات، أو حتى عقد من الزمن هناك روسيا التي تمتلك ٢٥ ألف رأس نووي تستطيع تدمير الولايات المتحدة خلال فترة لا تتجاوز ظهر أي يوم» .

ولأجل التقارير الرسمية ، والتحريضية ، كان على أمريكا الحد من هذه الأسلحة التي تؤرقها ، فكان ما يسمى بـ «برنامج التعاون من أجل تخفيض الخطر» في عام ١٩٩١م؛ حيث استطاعت الولايات المتحدة إزالة أكثر من ألفي رأس نووي ، وثمانمئة قاذفة قنابل ، ومنصة صواريخ في كل من روسيا وأوكرانيا وكازاخستان ، وكان ذلك مقابل مساعدات مالية ، وهو ما اعتبرته أمريكا إنجازاً ضخمًا تفتخر به ، فقد صرح وليام بيري قائلاً : إن منع الانتشار يعني شيئًا أكثر من مجرد تفكيك ترسانة الحرب الباردة النووية ، إنه يعني .. «قيادة المعركة» .

كما اتخذت الولايات المتحدة تدابير أخرى للحد من انتشار عدد من الأسلحة ، كاتفاقية خطر الانتشار النووي ، والعمل على وضع معاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية

موضع التنفيذ، والسعي إلى التصديق على الميثاق الدولي للأسلحة الكيماوية، والعمل على تعزيز ميثاق الأسلحة البيولوجية ونظم السيطرة على تكنولوجيا الصواريخ، وأخذ المبادرة في سلسلة من التدابير الدولية للحد من تدفق السلع والتقنيات التي يمكن استخدامها في إنتاج أسلحة الدمار الشامل، وفرض العقوبات ضد الدول التي تنزع إلى اقتناء هذه الأسلحة.

كما أن هناك ما يسمى بـ «ديبلوماسية الإجبار» وهي مزيج من التدابير الديبلوماسية والعسكرية، وهو ما استخدمته الولايات المتحدة في عام ١٩٩٤م من أجل وقف البرنامج النووي لكوريا الشمالية. وتضمنت التهديدات من جانب أمريكا ودول أخرى فرض عقوبات اقتصادية ما لم تتوقف كوريا الشمالية عن ذلك البرنامج، وتضمن كذلك الديبلوماسية من الوعود بتقديم مساعدات لإنتاج الطاقة «الكهربائية» في حال وقف البرنامج النووي كما تستدعي هذه السياسة مضاعفة الوجود العسكري الأمريكي بالمنطقة؛ إذ يوجد الآن (٤٥) ألف جندي أمريكي في كوريا الجنوبية.

كما اتبعت الولايات المتحدة السياسة نفسها مع جنوب إفريقيا حينما أرادت بيع صفقة من الأسلحة لسوريا، فهددت بقطع المساعدات التي تبلغ قيمتها ١٢٠ مليون دولار حال تنفيذ الصفقة؛ وذلك لأنها «تعرقل جهود السلام التي تبذلها الولايات المتحدة في المنطقة» وتعمل على الإخلال بميزان القوى في المنطقة!!

ونختتم هنا برأي وليام بيري حول هذه السياسة التي تسمى بـ «الدفاع الوقائي» إذ يقول: ما من شك في أن الريادة الأمريكية هي التي تجعل الدفاع الوقائي ناجحًا ومفيدًا، سواء كان ذلك في روسيا أو أوروبا أو البلقان أو الأمريكتين أو آسيا الشرقية والمحيط الهادي؛ إذ ليس هناك بلد آخر له ما لدى الولايات المتحدة من موارد واردة، ومكانة تتيح لها الوصول إلى سائر أركان المعمورة.. وفي الوقت نفسه (لا ينبغي لأحد أن يتوهم أن الدفاع الوقائي عمل من أعمال البر والإحسان.. إنما المسألة ببساطة أن الولايات المتحدة تبذل هذا الجهد الخارق والعمل الجاد اليوم، لكي تتقي غدًا إراقة دماء أبنائها وإهدار ثرواتها).

الطريق الثالث للأمركة بالقوة.. «أمركة عسكر العالم»

لم يبق لأمريكا لأمركة العالم بالقوة غير هذا الطريق الأخير لإحكام حلقة السيطرة والزعامة؛ فكثير من دول العالم خرجت حديثًا من تحت وطأة الاستعمار الأوروبي، سواء في إفريقيا أو آسيا أو حتى دول أوروبا التي خرجت حديثًا من تحت الحكم الشيوعي، وهذه الدول يمثل العسكر فيها نسبة كبيرة وهذه النسبة المرتفعة أدعى إلى نزوع هذه الدول إلى سياسات - إن لم تكن معادية - فهي استقلالية، لكن الولايات المتحدة يصعب عليها وجود دولة لا تدور في فلكها؛ فالدولة إن كانت تحكمها مجموعة مدنية، فلا بد من المباركة الأمريكية حتى تحظى بالقبول والعضوية في المحافل الدولية، وهذه الحكومات المدنية كذلك قد تجنح إلى سياسات تخالف التوجه الأمريكي، وأقرب الطرق للفت الانتباه بأن هذه التوجهات غير مقبولة أمريكيًا أن يأتي من الداخل عن طريق المجموعات العسكرية المؤمركة، سريعة الاستجابة للأوامر الخاصة.

كما أن وجود العسكر المؤمرك أدعى لتمرير صفقات عسكرية أمريكية؛ إذ إن السلاح الأمريكي وقتئذ هو الأكفأ

والأقدر في القتال، كما أن وجود هذا الصنف من العسكر أداة للتلويح للدول المجاورة المخالفة للسياسات الأمريكية، وخاصة إن كانت هذه المجموعات في دولة كبيرة لها وزنها السياسي أو السكاني أو الاقتصادي وتتوسط منطقة تعج بالمصالح الأمريكية.

ولقد دأبت الولايات المتحدة على استخدام نفوذها على المؤسسات المدنية والعسكرية في الدول الحديثة الاستقلال، من خلال علاقات عمل منظمة مع الشخصيات المهمة في تلك المؤسسات؛ ومما سهل هذه المهمة، تلك القناعة بأن القوات المسلحة الأمريكية هي أفضل نموذج يحتذى به!

فلدى الولايات المتحدة البرنامج الدولي للتدريب والتعليم العسكري، وهو برنامج مشترك لوزارتي الدفاع والخارجية يكفل لضباط من الاتحاد السوفييتي وحلف وارسو - سابقًا - ومن دول أخرى، الالتحاق بالمؤسسات والمعاهد الأمريكية لدراسة أسس العلاقات المدنية العسكرية، وهناك مراكز أخرى للتدريس في كل من ألمانيا وآسيا.

كذلك من الوسائل في هذا المجال.. تكوين فرق مكونة من

ضباط ومجندين أمريكيين وموظفين مدنيين من وزارة الدفاع يوفدون إلى تلك البلدان لمساعدة حكوماتها على بناء مؤسسات عسكرية محترفة عصرية، تحت قيادة مدنية، وقد أقامت تلك الفرق آلاف الصِلات مع أكثر من عشرة بلدان مستقلة حديثًا.

ويحصل الأمريكان من خلال ذلك على الاطلاع المباشر على الخطط والسياسات العسكرية لهذه الدول مما يجعل الصورة أكثر وضوحًا، ولا تبقى هناك حاجة كبيرة إلى أقمار صناعية أو أجهزة استخباراتية.

* * *

ثانيا: الأمركة بالدولرة .

لم يكن في الإمكان أن تصبح الولايات المتحدة أقوى دولة في العالم لو لم يكن لها اقتصاد قوي يلبي الاحتياجات الداخلية للدولة، وتستطيع من خلاله السيطرة على الأسواق العالمية بإغراقها بالمنتج الأمريكي. وإن أي دولة لا يمكن أن تتحكم في سيادتها وقراراتها ما لم تكن في غنى عن المساعدات والمنح والقروض. وكما أوردت من قبل، فإن الحرب العالمية كانت من أعظم الفرص التي استغلتها أمريكا، فكان انقسام العالم إلى معسكرين: رأسمالي، واشتراكي حافزاً قويًا في جعل الدول الغربية ذات النظام الاقتصادي الحر تقبل الانضواء تحت المظلة الأمريكية؛ وترتضي ذلك مع إدراكها لخطورة ما تحمله من الهيمنة الأمريكية، فلقد خرجت الولايات المتحدة أقوى دولة اقتصادية، وأكبر دولة دائنة، وأوربا بكاملها كانت مدمرة من آثار الحرب، وكانت المصانع الأمريكية ـ والتي كانت بمعزل تام عن الحرب ـ ورشة كبيرة تقذف ببطونها إلى أوروبا، وحتى بعد انتشار الحرب كانت أوروبا في حاجة إلى إعادة إعمار شامل، ولم يكن هناك من يستطيع تلبية كل

الاحتياجات هذه ـ وقتها ـ غير أمريكا، التي لم تتأخر عن تلبية الدعوات، فهي فرصة لن تعوض لتحقيق مخططات الأمركة.

وفي عام ١٩٤٧م عقب الحرب أعلن هاريس ترومان: إذا لم تتحرك الولايات المتحدة للزعامة... تعرض السلام العالمي للخطر..، أما وزير الخارجية السابق كريستوفر فيشرح تلك الحقبة وما تداعى فيها من اختلاف وجهات النظر الأمريكية حول السيطرة أو التنحي: «عند نهاية الحربين العالميتين كنا أمام طريقين: أن نعلن الانتصار وننسحب، أو نسعى بقيادة الولايات المتحدة إلى بناء عالم أكثر أمنًا وسلامًا وحرية وازدهارًا لأمريكا وللناس في كل مكان، فبعد الحرب العالمية الأولى وقع اختيار قادتنا على الطريق الأول، فدفعنا ثمنًا مرعبًا، وإن كلاً من هاري ترومان وجورج مارشال وآرثر فاندبرغ ـ مع الشعب الأمريكي ـ تصرفوا بحكمة حين اختاروا الطريق الثاني».

كان هذا التوقيت فرصة لتغيير المفاهيم الاقتصادية العالمية، فبعد أن كان الذهب هو الأساس لقياس قيمة العملات بما هو

حـجم المودع منه في البنوك مـقـابل مـا يطرح في الأسـواق من نقـود، فـقـد حل الدولار ـ العملة الرسمـيـة الأمريكيـة ـ مـحل الذهب في ذلك، وأصبح عملة عالمية يجب التعامل بها دوليًا، بل إن سـعـر الذهب ذاته أصـبح يحـدد بالدولار، وأصـبح الاحتياطي المالي للدول يقاس بكمية الدولارت المخزنة في بنوكها المركزية!

وعلى الطريقة العسكرية كان لا بد من السيطرة على الأسواق العـالمية والاقـتـصـاد العـالمي كـاسـتـراتيـجـية مـهـمـة، لبناء أمريكا وقـوتهـا، وأمركة العـالم، وهو مـا يمكن أن نجـمله ـ أيضًـا ـ في أساليب ثلاثة.

❊ ❊ ❊

الأساليب الأمريكية لدولرة العالم:

١ ـ السيطرة على الأسواق العالمية: نحن نريد العالم سوقًا ضخمة أو «سوبر ماركت» فيه كل شيء، ونحن الذين نسيطر عليه!! كان هذا من تصريحات أستاذ السياسة الدولية بنجامين سوارتز، مختصرًا به السياسة الأمريكية، ومبسطًا منهجًا، ومُجَلِّيه للناس دون مواربة ولا خجل، ويضيف: الاستراتيجية الاقتصادية الأمريكية «منذ خمسين سنة» هي أننا نريد العالم كله سوقًا تحت سيطرتنا، ولا بأس أن نأخذ من هذا، ونعطي هذا.

وهذه السياسة تزيل العجب الذي قد يبدو من إنفاق الولايات المتحدة المليارات لحماية اقتصاد ألمانيا واليابان! رغم طاقتهما الاقتصادية والمالية، ولكن عدم رغبة واشنطن في أن تتولى الدولتان الدفاع الذاتي عن مصالحهما الاقتصادية، كي لا تزداد قوتهما على الصعيد الدولي، ويصبحا منافسين قويين لأمريكا.

٢ ـ المساعدات الاقتصادية والقروض «المربوطة»: لماذا تقدم أمريكا المساعدات الاقتصادية؟ ولماذا قدمت مساعدات

لدول غرب أوروبا عقب الحرب العالمية الثانية من خلال «مشروع مارشال»؟ ولماذا أعلنت «مشروع دودج» بتقديم مساعدات اقتصادية لليابان؟ تأتي الإجابة أيضًا من سوارتز: كنا نريد مساعدتهم ليصبحوا جزءًا من سوق مفتوحة؛ لأننا كنا نخاف أن ينغلقوا على أنفسهم، أو يصبحوا كتلة اقتصادية، بعد أن أخفقوا ككتلة عسكرية، ولتزدهر المصانع اليابانية ولتنقل السفن البضائع اليابانية إلى العالم كله، ولكن يجب ألا ننسى أن اليابان جزيرة صغيرة، وسنظل نملك اليد العليا ما دام أسطولنا البحري، هو الذي يحمي سفن البضائع والسفن الأخرى التي تستورد البترول.

المصلحة . . سياسة واحدة، وفكر واحد يحكم الولايات المتحدة، وبمقارنة بسيطة بين المساعدات المالية للكيان اليهودي البالغة ٣,٢ مليار دولار سنويًا، وبين ٤٧ بلدًا إفريقيًا يمثل سكانها ١٥٪ من سكان العالم، و٢٠٪ من كتلته الأرضية، تقدم لها مساعدات سنوية قيمتها ٦٣٠ مليون دولارًا فقط . . فبقاء الكيان اليهودي مصلحة استراتيجية لأمريكا، أما إفريقيا، فلا تمثل في الغالب إلا تأثيرات هامشية على المصالح الأمريكية،

على حد تعبير روبرت دول.

كذلك فإن المساعدات الأمريكية دائمًا ما تكون «مربوطة» أي إن هذه المساعدات المالية ليس للدول الممنوحة لها حتى التصرف فيها حسب احتياجاتها، بل هي تأتي محددة؛ فالدولة الآخذة في حاجة إلى إقامة مشاريع صناعية أو تنموية، أو زراعية لكي تطعم شعبها، فتأتي المساعدة مشفوعة بقولهم: إنكم في حاجة إلى تحديد النسل؛ لأن مشاكلكم كلها منبعها الزيادة السكانية الرهيبة التي تعيق برامج التنمية، وتأكل الأخضر واليابس، ولا تبقي ولا تذر ولا تسمح بأي تحسن في الحالة الاقتصادية، وهكذا فالمساعدات تمنح للدول التي تحتاج إليها حسب المصلحة، سواء كانت جلية بينة، أو خفية يمكن تأويلها على أنها... صدقة جارية!!

أما الدول التي لا تحتاج إلى مساعدات أمريكا المالية، فلها أن تستغني عنها كيف شاءت، لكن دون تهديد مصالح أمريكا.

أما الدول التي بين هؤلاء وأولئك، وما زالت في طريق النهوض؛ فلها الطريق الثالث وهو العقوبات الاقتصادية.

٣ ـ العقوبات الاقتصادية

نجح الأمريكيون في أن ينشئوا منظمات عالمية اقتصادية تحقق أهدافهم، وأن تكون الإدارة فيها أمريكية، أو ذات أغلبية أمريكية (مؤمركة) يحق لها حسم الخلافات لصالح أمريكا، ووضعت هذه المنظمات العالمية ـ كصندوق النقد الدولي، أو البنك الدولي ـ الأسس والضوابط للقروض والمعونات والبرامج الاقتصادية الإصلاحية، وتم إعطاؤها الصفة الدولية حتى تخرج أمريكا من دائرة اللوم، وأصبحت تقارير هذه المنظمات هي المعيار الرسمي الدولي الحقيقي الملزم للجميع، والشذوذ عنه، شذوذ عن الشرعية الدولية يترتب عليه عقوبات اقتصادية إضافة إلى عقوبات سياسية من منظمات مؤمركة أيضًا كمجلس الأمن، والأمم المتحدة؛ وما معنى وجود كل هذه الدول في الأمم المتحدة أوغيرها من المنظمات، وما الفائدة من تصويتها، إن كانت أمريكا تمتلك حق النقض «الفيتو» لأي قرار لا تراه مناسبًا !؟

ولم تكتف الولايات المتحدة بتلك العقوبات الدولية، بل تعدت ذلك إلى إصدار عقوبات من جانب واحد؛ فهي تعتبر أنه

لا فرق بين التدويل والأمركة، فالأمر سواء.

وقد عبر «جيري جاسنيوكي» رئيس جمعية الصناعيين الوطنية بأمريكا عن هذه العقوبات الفردية بقوله: ثمة فكرة تشبه ما يصدر عن شخص تنتابه نوبة غضب وانفعال، مفادها أن على الأمريكيين أن يفعلوا أي شيء ولو أضر بهم، إن ما نود أن نقوله اليوم: أن هذه العقوبات لا تفيد ولا تخدم غرضًا، فهي تُغيّر سلوك الدول المستهدفة.

وقد أصدرت منظمة أمريكية رئيسية تقريرًا أدرجت فيه ٦١ قانونًا ومرسومًا أمريكيًا صدرت بين عامي ٩٣ ـ ٩٦م منحت فيه الحكومة الأمريكية سلطة فرض عقوبات من جانب واحد خدمة «لأغراض سياسية»، هذه الإجراءات تستهدف خمسًا وثلاثين دولة.. تضم ٢,٣ مليار نسمة من مستهلكي السلع والخدمات الأمريكية، أي ما يعادل ٤٢٪ من سكان العالم. وتتخذ أمريكا هذه الإجراءات وهي على قناعة تامة بالقدرة على تنفيذها، وانصياع تلك الدول لها.

* * *

حجج العقوبات الاقتصادية

لا زالت أمريكا تتظاهر باحترام عقل الإنسان وعواطفه، فليس من المعقول فرض عقوبات دون مسوغات أو أسباب تؤدي إليها!! وقد تم تقسيم حجج العقوبات الاقتصادية إلى أربعة أقسام:

١ ـ إعلاء شأن حقوق الإنسان والديمقراطية: وقد تم اتخاذ ٢٢ تدبيرًا في ذلك مع ثلاث وعشرين دولة، منها: البوسنة، بورما، أنجولا، بورندي، الصين، كرواتيا، كوبا، نيجيريا، هايتي.

٢ ـ مكافحة الإرهاب: وتم حتى الآن استصدار ١٤ قانونًا ومرسومًا تنفيذيًا بغية مكافحة الإرهاب، واستهدفت هذه القوانين عدة دول منها: كوبا، إيران، العراق، ليبيا، نيكاراجوا، السودان، سوريا.

٣ ـ الحيلولة دون انتشار التسلح النووي: واستهدفت الإجراءات الخاصة بهذا البند كل من الصين وإيران وكوريا الشمالية، وباكستان.

٤ ـ حقوق العمال ومحاربة المخدرات، وحماية البيئة

والحيلولة دون العمل بنظام الأشغال الشاقة في السجون : وقد تم فرض عقوبات في أغسطس ٩٥م على عدة دول، منها الإمارات، وقطر، وهي سوق بلغت قيمة الصادرات الأمريكية إليها عشرة بلايين دولار عام ٩٦م وتضمنت هذه العقوبات تعليق العمل بتقديم «هيئة الاستثمارات الخاصة خارج الولايات المتحدة» ضمانات مقابل المخاطر الجديدة للمستثمرين الأمريكيين في الدول العربية .

* * *

نماذج سريعة للعقوبات الاقتصادية

لن نتعرض للنموذج العراقي؛ فالحالة العراقية لا تخفى على أحد، ويكفي أن أمريكا حتى الآن هي المعرقلة لإكمال مشروع «النفط مقابل الغذاء» وذلك لأن العراق ليس على استعداد الآن لاستقبال شركات أمريكية مرة أخرى، وما دامت أمريكا غير منتفعة، فلماذا يتم الاتفاق بسهولة؟!

وأيضًا لن نعرج على ليبيا، التي أثبتت الوثائق البريطانية أنها ليس لها دخل في حادث تفجير الطائرة الأمريكية فوق لوكيربي؛ فأمريكا أصدق من بريطانيا ولا شك، ولن نشفق على السودان فهي - كما ترى أمريكا - دولة إرهابية تستحق كل ما يحدث لشعبها من حرب وجوع!!

نيجيريا والعقوبات الاختيارية : ذكرت صحيفة لوس أنجلوس تايمز أن وارن كريستوفر - وزير الخارجية السابق - منزعج جدًا من جراء عدم تقدم العملية الديمقراطية في نيجيريا [سكان نيجيريا ١٢٠ مليون، ٧٥٪ مسلمون] ولأجل هذا الانزعاج فقد تم فرض عقوبات عدة على نيجيريا وهي ما يلي:

١ ـ تجميد أصول نيجيريا في الولايات المتحدة .

٢ ـ منع أي استثمارات جديدة هناك .

٣ ـ قطع الروابط الرياضية بين البلدين .

٤ ـ منع إصدار التأشيرات للنيجيريين .

٥ ـ منع تصدير الأسلحة والخدمات العسكرية .

٦ ـ معارضة أية قروض أو اعتمادات من قبل صندوق النقد الدولي .

٧ ـ عدم الموافقة على المشروعات النيجيرية المقدمة للمؤسسات المالية الدولية .

لكن أمريكا لم تفرض أية عقوبات نفطية على نيجيريا ؛ لأنها تشتري ٤٠٪ من صادراتها النفطية وهو ما يمثل ٨٪ من واردات النفط الأمريكية . وقد رفعت بعض هذه العقوبات من قبل دول الاتحاد الأوروبي في أكتوبر ١٩٩٨م بعد وفاة ساني أباتشا .

روسيا البيضاء وعقوبات اختيارية أخرى :

خفضت الولايات المتحدة علاقاتها مع روسيا البيضاء بسبب ما وصفته بـ «تحول خطير في حقوق الإنسان» والذي تمثل في

القيود الشديدة على حرية التعبير وتفتيش مكاتب الأحزاب السياسية المختلفة، وأوضح مسؤولون أمريكيون أن هذا يعني أن أمريكا لن تكون مستعدة لمناقشة أي قضايا مع روسيا البيضاء «سوى تلك التي تهم الولايات المتحدة بشكل مباشر».

ونسائل أمريكا عن حقوق الإنسان: ماذا عن حقوق البشر «الإرهابيين الأصوليين»، بحسب معاجمكم، المرتهنين في سجون الدول الصديقة بلا تهمة ولا جريمة؟

ونختتم بهذا الخبر التي أوردته وكالة رويتر الذي مفاده: أن منظمة العفو الدولية حذرت الشرطة ومسؤولي السجون في شتى أنحاء العالم يوم ٤/ ٣/ ١٩٩٧م من خطر استخدام أجهزة التعذيب والصدمات الكهربائية في العالم، وذكرت أن الولايات المتحدة هي «أكبر منتج لأجهزة التعذيب الكهربائية في العالم» وأن فرنسا تساهم في تطويرها. [جريدة البيان الإماراتية، ع/ ٦١٠٤/ ٥/ ٣/ ١٩٩٧م].

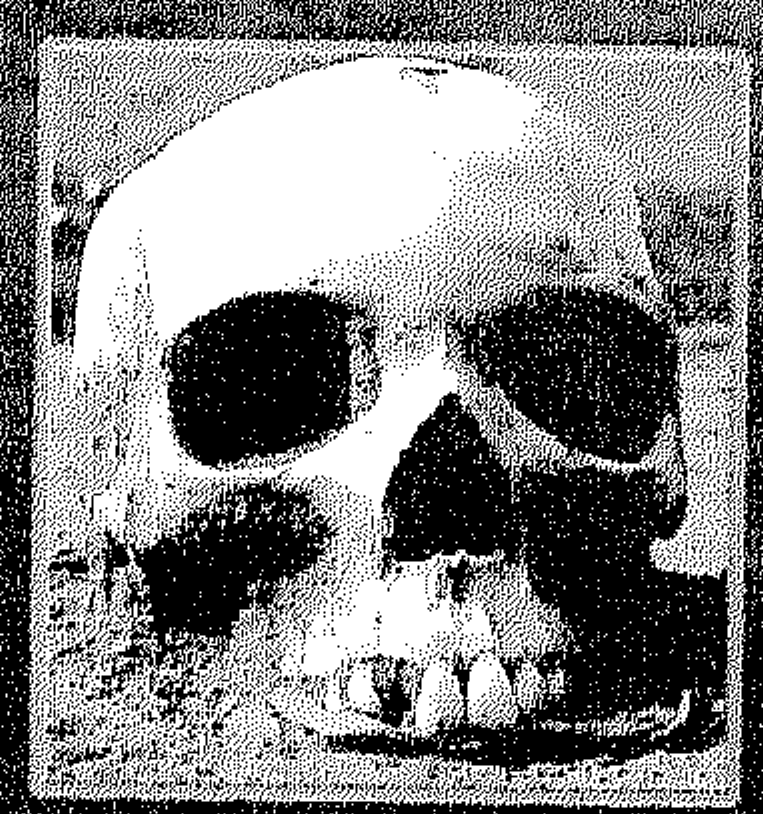
وبالمصلحة، والعسكرة، والدولرة.. تمت حلقات سياسة الأمركة، وإلى هنا تبدو الصورة وردية جداً، متفائلة جداً، مناسبة جداً لاستمرار الحلم الأمريكي!

لكن السنن قد تقول خلاف ذلك، والعالم لن يقف متفرجًا كثيرًا؛ فهناك سياسات معادية لأمريكا، وهناك منافسة قوية لأمريكا في كل شيء، وهناك الأهم: الدمار الأمريكي في كل شيء، والفشل الأمريكي في كل شيء، فإن كانت أمريكا تدور حول مصلحتها؛ فهناك القوة العسكرية التي بدأت في التراجع، وهناك الاقتصاد المشرف على الانهيار، وهناك التخلف التقني والتكنولوجي، وهناك الدمار الاجتماعي بكافة مجالاته.

وبالجملة: فهناك نهاية لأمريكا.. وليس نهاية للتاريخ ـ كما يزعمون ـ.

* * *

المحتوى



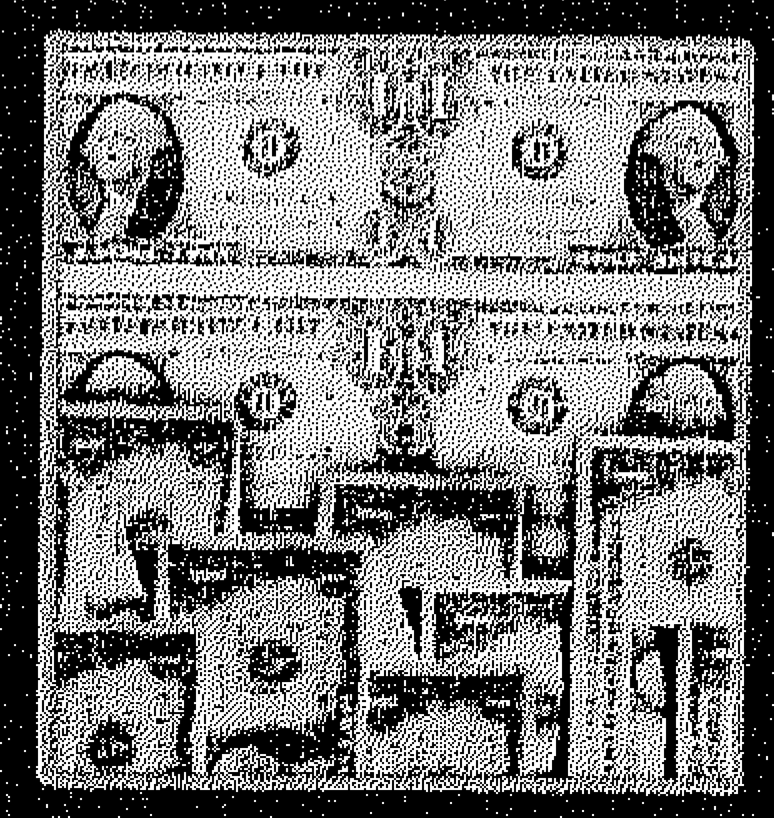
من الذاكرة الأمريكية



ديبلوماسية الإجبار



الأمركة بالقوة



الأمركة بالدولرة

«لنواصل بإسم الثالوث الأقدس إرسال جميع العبيد الذين نقدر على بيعهم» هكذا ،وبإسم المسيحية لم يتورع «كولومبوس» عن تشريع تجارة الرق ،ففي خلال عامين فقط انقرض سكان هايتي الأصليين إلى النصف ... فقد كانوا ربع مليون نسمة ، وتقلص بعد ٢٣ عاماً من «الاكتشاف العظيم» إلى خمسين ألفاً عام (١٥١٥ م) ، ثم إلى ٥٠٠ فقط عام (١٥٥٠ م) ،لقد ماتو تعذيباً و قتلاً وانتحاراً في ظل هيمنة كولومبوس ورجاله وجرائمهم .

يقول الكاهن الأسباني «بارتولوميه دولاس كاسس» الذي شارك في فتوحات الكاريبي : في كوبا شهدت بنفسي وفاة سبعة آلاف طفل خلال ثلاثة شهور فقط ،ودفع اليأس ببعض الأمهات إلى إغراق أطفالهن في الأنهار أو خنقهم ، في حين شاعت في صفوف المستعبدين ظاهرة الإنتحار الجماعي بالسموم للخلاص من جحيم العبودية العصية التحمل.

ويتساءل كاسس : من من أجـ

سيصدق أن أكثر من ثلاثة ملايين قتلـ

والقتل خلال الفترة ما بين(١٤٩٤

شخصياً لا أكاد أصدقها ، مع أنني أ

مطلع .